الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون- تيارت-
كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات الخطاب

والموسومة بـــ :

الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم
سورة الشمس أنموذجا

إشراف الأستاذ :
دبيح محمد

إعداد الطالب :
يونسـي مصطفى

لجنة المناقشة :

أ.د حدوارة عمر	رئيسا
د. دبيح محمد	مشرفا ومقررا
د.باقل دنيـا	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي : 2019/2018مـ/1441/1440هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحمد لله حمدا يدوم بدوام الأبد، ثم صلاته على محمد، أكرم من قام في المقام، وخير من بعث للأنام، جاء بخير الوحي و النبوءة، لخير أمة من البريئة، صلى عليه ربنا وسلم، وآله وصحبه تكرما، أشكرك ربي على نعمك التي لا تعد، وآلائك التي لا تحد، أحمدك ربي وأشكرك على أن يسرت لي إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن ترضى به عني .

أتقدم بأسمى معاني الامتنان والتقدير لأستاذي الدكتور ذبيح محمد، الذي تفضل بالإشراف على بحثي، وظل دائما يوجهني بتوجيهاته النيرة، وآرائه السديدة، فكان بحق نعم المشرف، كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى من رعاني طالبا في برنامج الماستر واليسانس، وأتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الفضلاء في قسم اللغة والأدب العربي بجامعة ابن خلدون تيارت، وكل العاملين به دون أن أنسى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، في إنجاز هذا البحث، فبارك الله لكم جميعا وجزاكم الله خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناتكم آمين يارب العالمين .

مقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وأنزل القرآن الكتاب الأعظم، المعجز بنظم آياته وتناسب سوره وفواصله، وهو رسالة الإسلام الخالدة على مرّ الأزمان، وسر من أسرار البلاغة والبيان، والصّلاة والسّلام على الحبيب المصطفى، أفصح العرب لسانا، وأوضحهم بيانا، وأقواهم حجة وبرهانا أما بعد :

فإن خير العلوم وأشرفها العلم بكتاب لله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالقرآن كتاب معجز في بنائه اللّغوي والدلالي، إذ نزل على العرب متحدّيا إياهم، وما زال هذا التّحدي إلى عصرنا هذا، ويستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد خاطب القرآن الكريم بلغاء العرب بأساليبهم البلاغية نفسها في الكلام، إلا أنه تفوق عليهم في كل مستويات اللّغة، فالنّغمات في القرآن الكريم تنبعث حتى في اللّفظة المفردة في كل آية من آياته، فتكاد تستقل بجرسها ولغتها وظلالها بتصوير مشهد بديع من الألوان، فكلها تشير إلى أن جرس المفردات القرآنية وظلال خيالها يوحيان بالمعنى قبل أن يوحي بالمدلول اللّغوي.

إذ يعد الإيقاع صورة التّناسق الفني في القرآن الكريم، وآية من آيات الإعجاز المتجلّي في أسلوبه المتميز، فالقرآن يحوي إيقاعا موسيقيا يؤدي وظائف جمالية رفيعة، كشف عنها علماء الإعجاز القدامى و المحدثون في مباحث ممتعة مبهجة، وهو الأمر الذي دفعنا إلى الغوص في ذلك من خلال بحثنا الموسوم بـ: الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم سورة الشمس أنموذجا، من أجل التعرف على جمالية الإيقاع ووجوه إعجازه انطلاقا من التساؤل المركزي :

- كيف تتجلّى جمالية الإيقاع القرآني من خلال سورة الشمس ؟

والذي تنطوي تحته مجموعة من التساؤلات :

ما هو الإعجاز القرآني ؟

ما المقصود بالإيقاع القرآني ؟

هل يعد الإيقاع مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني ؟

كيف تتجلى ملامح الإيقاع القرآني في سورة الشمس ؟

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فكانت كالتالي :

-سورة الشمس سورة مكية والقرآن المكي احتوى على خصائص أسلوبية إيقاعية كثيرة وتصوير رائع للمشاهد أكثر منه ذلك الموجود في القرآن المدني .

-كون هاته السّورة متوسطة فهي ليست بالقصيرة ولا الطويلة، إضافة إلى اشتمالها على مشاهد رائعة، وصور بديعة متعلقة بعجائب الله وقدرته في كونه .

-القيمة الفنية والدّ لالية التي يحملها الإيقاع، وأهميته في القرآن الكريم .

-وهناك سبب خاص هو تعلقي بالقرآن الكريم، ومحاولة خوض غمار اكتشاف إعجازه الإيقاعي .

ولمعالجة هذا الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي لإبراز جهود علماء الإعجاز في هذا المستوى اللساني في فصليه النظريين، أما التطبيقي فاعتمدنا المنهج الأسلوبي في مستواه الصوتي للكشف عن جمالية الإيقاع وتناغمها مع المستوى الدلالي في سورة الشمس .

وللإلمام بجوانب الموضوع قسمنا بحثنا هذا إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول تناولنا فيه الإعجاز القرآني مفهومه و مظاهره من حيث الدلالة المعجمية، ومظاهر هذا الإعجاز ، ثم الإعجاز القرآني بين القدامى و المحدثين، ويليه الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه إلى الإيقاع من حيث التعريف اللغوي و الاصطلاحي، والفرق بينه و بين الوزن، ثم الإيقاع عند القدماء و المحدثين، أما الفصل الثالث فهو فصل تطبيقي، تناولنا فيه الإعجاز الإيقاعي في سورة الشمس، من خلال التعريف بالسورة، ومفهوم الفاصلة القرآنية و أهميتها وكذلك التجليات الإيقاعية للفاصلة القرآنية في سورة الشمس .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مراجع قيمة منها: إعجاز القرآن للباقلاني، و ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، الخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، و البرهان في علوم القرآن للزركشي، و النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن لعبد التواب محمد صلاح الدين، وصفوة التفاسير للصابوني، و التصوير الفني للقرآن الكريم لسيد قطب، وكذا إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي،

الفاصلة القرآنية لفاضل السامرائي، نظام الخطاب القرآني لعبد المالك مرتاض، مباحث في علوم القرآن للصّالح صبحي، جمالية التلقي في القرآن الكريم لشارف مزاري، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني لعبد السلام راغب .

في الأخير أحمد الله تعالى العلي القدير الذي وفقني لاختيار هذا الموضوع، وأعانني على إتمامه .

تم هذا العمل بعون الله في يوم: 20 ماي 2019 م

الموافق لـ: 15 رمضان 1440هـ

الطالب: يونسي مصطفى .

الفصل الأول : دلالات الإعجاز ومظاهره

أولا : الدلالة المعجمية والاصطلاحية للإعجاز القرآني

ثانيا : مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم

ثالثا : الإعجاز القرآني بين القدامى والمحدثين

أولا: الدلالة المعجمية والاصطلاحية للإعجاز القرآني .

أ-الإعجاز لغة:

الدلالة المعجمية والاصطلاحية وتواردها في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم و في السنة النبوية الشريفة مصطلحات مرادفة للإعجاز، حيث نجد أنّ القرآن الكريم استعمل كلمة (آية) للدلالة على معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ☮✌◘⬀♌①↘⛥☮☪✠🕭🕮✌↘◘﴾ ▫⑩⬀☠♓🏵✍Ⅱ✡⬀☞

❖★🖫☜⬀❁🏵 ⬃”🢒❶▫⇔☜⬀✂🖫①⬃⋒⬀☞🕭🕮✌ ❀❑⬀⬃❶🗸❺
⑦⑩⬀🗸⋒⬀☞✌🗸▪ ☐♌”♌❶☮⑦☞🗸▪🖃✍🗸❺
🢒♒⬀➿☪✠ ✍✍↘❶Ⅱ✡⬀☞ ♎❖➿⇔☜▫②◘⬀♌⋒☜⬀☠🏵
❀❑⬀⇔☜⬀▫■ 🖃⑧🗣✂🖫🗸⋒⬀☞❁🏵✍ ✍🗸①☠☪⬀☞❍✌
☐♌”🖃⬀③♌♦⬀▫❍⬀🏴❁⛥♌⋒⬀☞ ✍🗸②↘☐ ✍🡐🡕🖃✍❁✌
❁🏵 🏴⑧☜🗸▪🖃✍🗸❺ ✌❀♈❒🖴Ⅱ✌ 🖃✍↘❶☠☪⬀☞🕭🕮✌

☜⬀⋒♌◘②▫⇔➿⬀◆↘◘⬀➿♌◘ ☎🗁🗁🗀◑ ﴾[1].

ورد في لسان العرب لابن منظور أنَّ: « عجز العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزاً فيهما.

والمِعْجِزَة والمِعْجَزَة: العجز قال سيبويه هو المعجز والمعجز، والكسر على النادر والفتح على القياس لأنّه مصدر، والعجز الضُّعف، تقول: عجزت عن كذا أعجز، وفي حديث عمر ولا تثلو بدار معجزة، أي لا تقوموا ببلدة تعجزون فيها عن اكتساب التّعيش، وقيل بالثّغر مع العيال والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز عدم القدرة، وفي الحديث: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، وقيل أراد بالعجز ترك ما يجب فعله بالتّسويف وهو عام في أمور الدّنيا و الدين »[2].

1 - سورة الأنعام، الآية: 109.

2 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، 2000م، ط،01،م10باب العين، مادة عجز.

هذه بعض معاني لفظ المعجزة عند سيبويه، وورد لفظ المعجزة في القرآن الكريم يحمل دلالات مختلفة أيضا .

كما نلاحظ في القرآن الكريم لفظة البيّنة للدلالة على المعجزة كما في قوله تعالى: ﴿

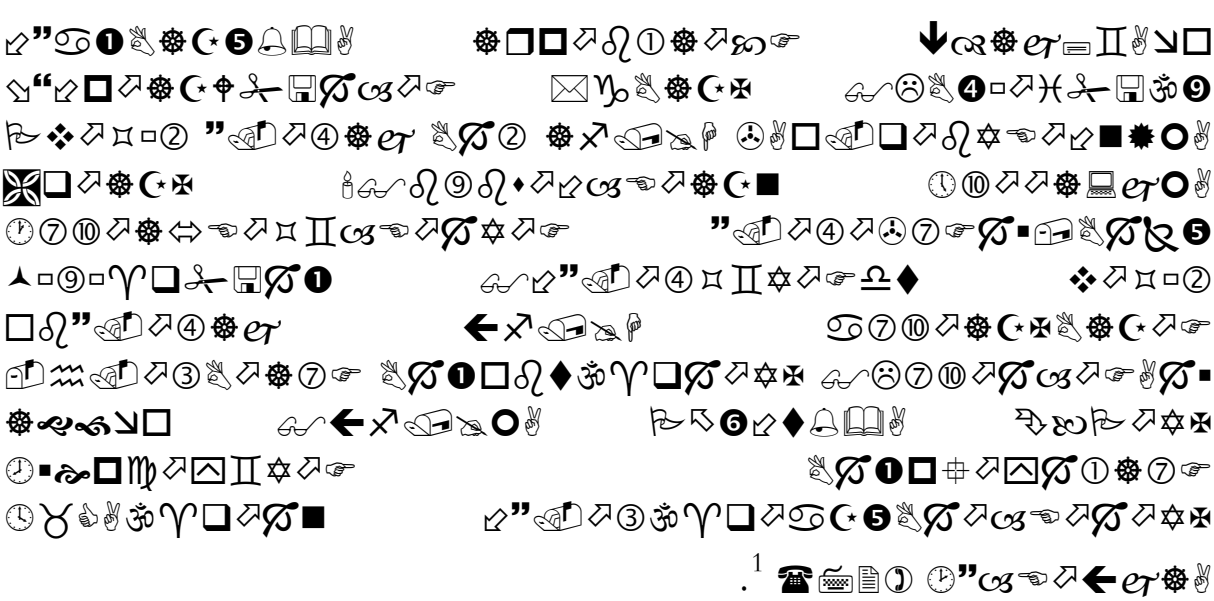

[1].

ومثلها كلمة برهان في قوله تعالى: ﴿

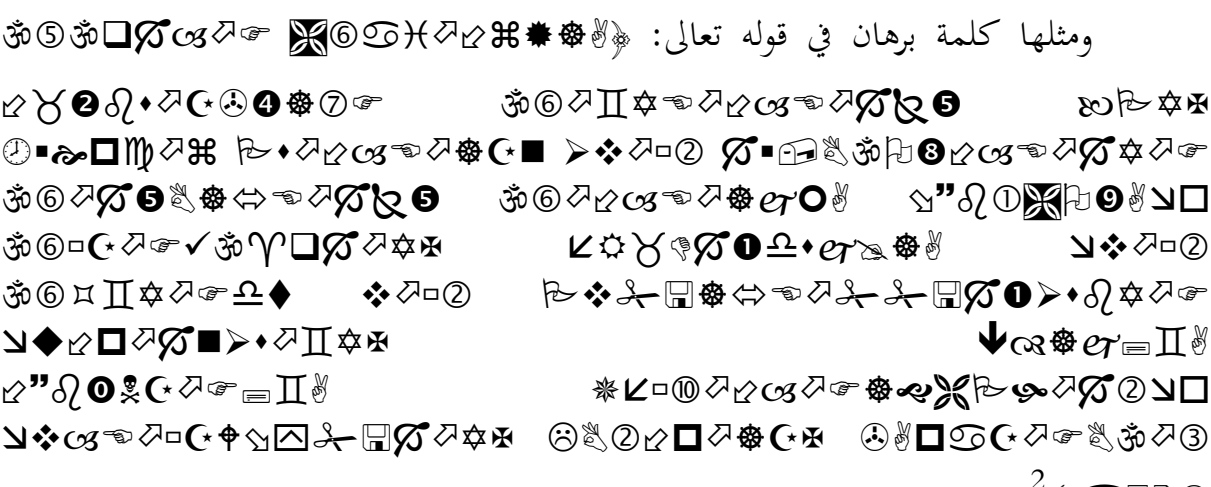

[2].

ولفظة السلطان كذلك، في قوله عزّ وجلّ: ﴿

1 – سورة الأعراف، الآية: 73.

2 – سورة القصص، الآية: 32.

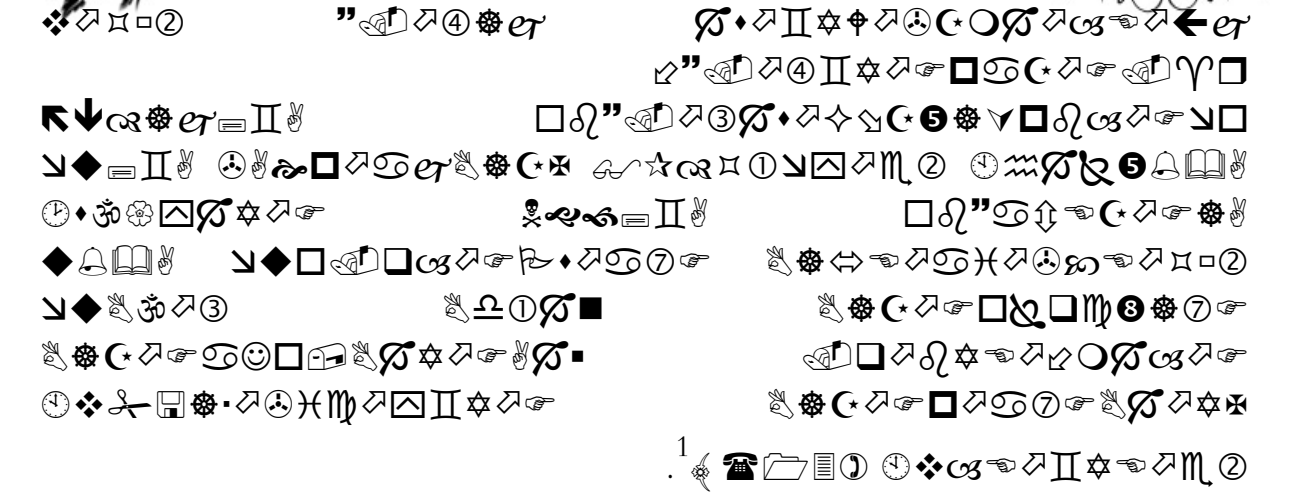

وفي الحديث أنّه: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم صاحب كسرى، فوهب له معجزة فسمي ذلك المعجزة، وهي بكسر الميم المنطقة بلغة اليمن، وقال: سميت بذلك لأنّها تلي عجز المتنطق بها »[2].

نستنتج من خلال ما وجدنا في الدلالة المعجمية أن لفظ الإعجاز يتلون بين: المعجزة البينة السلطان البرهان، فهو غير ثابت بل متغير لفظا ودلالة بحسب السياق الذي يرد فيه، كما أنه متداول في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة وفي كلام العرب.

ب-الإعجاز اصطلاحا:

الإعجاز أمر خارق للعادة مرتبط بالتّحدي والقدرة، وعادة ما يكون الإعجاز من جنس العمل الذي اشتهر به أولئك القوم ومن بيئتهم، فورد في تعريف المعجزة: « المعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون، ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل إليها إلاّ عن طريق الجهد الشخصي، والكسب الذاتي، وإنّما هي هبة الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرّسالة » [3].

1 - سورة إبراهيم، الآية: 10.

2 - المصدر نفسه.

3 - مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن،، دار مسلم، الرياض، 1996م، ط02، ص 15.

والمعجزة ليست لإثبات العجز فحسب، بل هي برهان ودليل على أنّ الادّعاء حق: « فليس المقصود بالمعجزة إثبات العجز للخلق ذاته من غير ترتب مطلب على هذا العجز، بل المقصود لازم هذا العجز وهو إقامة الحجّة على أنّ هذا الإدّعاء حق وأنّ الرسول الذي جاء به صدق »[1].

إلاّ أنّ هناك أمرا متعلقا بالمعجزة القرآنية على غرار غيرها، وهي أنّها موقوتة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، « المعجزة القرآنية هي أمر معنوي خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة باق في الزمن دال على البلاغ وحامل لصدق الرّسول ودعواه »[2].

فمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم الذي عجز العرب على أن يأتوا بمثله، لأنه كتاب الله الذي أنزله على رسوله الكريم ليهدي النّاس إلى صراطه المستقيم وعبادته وحده لا شريك له، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد جاءت معجزته بهذا البيان الساحر، والبلاغة اللامتناهية حتّى وصفه المشركون بالشاعر والساحر والمجنون، فلم يستطيعوا الإتيان بمثله « وكانت المعجزة الكبرى الشاهدة على نبوة هذا البشر الرّسول كتاباً عربياً مبيناً يعجز العرب أن يأتوا بمثله لكي يصدقوا بثبوته ويتبعوه، وهو يقودهم برسالته إلى عصر الإنسان الذي لا يقرّ بالعبودية لغير خالقه »[3].

ج–شروط المعجزة:

ويورد مسلم مصطفى شروط المعجزة فيما يلي: « ذكرنا فيما سبق أنّ المعجزة هي عبارة عن أمر خارق للعادة يقرن بالتّحدي والقدرة، فهي لا تنحل تحت طاقة البشر، وليست هناك أسباب تؤدي إليها، بل هناك شروط تتوفر في المعجزة نستطيع أن نجملها فيما يلي:

1 – المرجع نفسه، ص 20.

2 – ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات،، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007م، ط01، ص 73.

3 – عبد الرحمان بنت الشاطئ عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل لابن الأزرق دراسة قرآنية ولغوية وبيانية، (د، ط) دار المعارف، القاهرة، 1993م، ص 49.

أولا: أن تكون المعجزة أمرا خارقا للعادة سواء كانت قولاً أو فعلاً، سواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال كتسبيح الحصى وحنين الجذع ومثل القرآن الكريم، أو أن تكون من قبيل الفعل كانفجار الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكثير الطعام القليل وكفاية للجميع الكثير أو من قبيل الترك مثل عدم إحراق النّار لسيدنا إبراهيم عليه السلام وعدم إغراق الماء لموسى وعدم سيلان الماء عليهم.

ثانيا: أن يكون هذا الأمر الخارق من صنع الله وإنجازه، فالمعجزة من صنيع الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أحد من البشر تعيين زمانها ومكانها ونوعها لقوله تعالى: ﴿ ﴾[1].

ثالثا: أن تسلم هذه المعجزة من المعارضة، فلو استطاع الناس الإتيان بمثل ما جاء به النبي من معجزات لبطل ما جاء به.

رابعا: يجب أن تقع المعجزة على من يدّعيها وأن تكون موافقة لما يقول غير مخالفة له.

خامسا: يشترط التحدي في المعجزة لكي يثبت عجز الكثيرين وإقامة الحجّة عليهم، فالتّحدي يكون بالقول الصريح بأن يقول الرسول: دليل صدق وحجة ما جئت به هو عجزكم عن الإتيان بمثل هذا الأمر الذي فعله، وهذا هو الغالب في معجزات الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام.

1 - سورة غافر، الآية 78.

سادسا: أن تكون هذه المعجزة دليل صدق يستشهد بها مدّعي الرّسالة ليثبت بها رسالته وينسب أمرها إلى الله عزّ وجلّ.

سابعا: يجب أن لا تقوم المعجزة إلاّ بعد قيام الدّعوى لأنّها الشّاهد، فكل هذه الشّروط يجب أن تتوفر في المعجزة »[1].

ثم يذكر لنا مسلم مصطفى بعض النماذج الإعجازية للأنبياء، وكيف تناسب المعجزة مع البيئة والقوم، وتساير حضارتهم وفكرهم، وفي هذا الصدد يقول: « ومن معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات خاتمهم عليهم الصّلاة والسّلام نلاحظ أنّ المعجزة تختار من بيئة القوم الذي أرسل إليهم النبي وتتماشى مع مستواهم الفكري والحضاري لتكون حجّة أقوى فالأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية كانت معجزات تناسب بيئتهم الصّحراوية فمثلاً كانت معجزة صالح النّاقة.

وكذلك تأتي المعجزة من قبيل ما اشتهر به القوم فكان قوم فرعون قد اشتهروا بالسّحر، فجاءت معجزة سيدّنا موسى عليه السلام، وهي معجزة العصا، قال تعالى:

﴿ ✌♋♈❐▭♊✍♌⬀✡✠ ♌⑨✍♋❽♌■ 🡻♌✈☪⌖☹♐🕭🕮✍♌⬀✡✠﴾

❶♌▫➊ ☎▤🗁◑ 🕑❖♋☜⬀♊✡☜⬀♏② 🕑◆✍♌⬀✡☜⬀⬂❍⬀ᘓ☜ ⬂♌▫❶ ﴿[2].

وكذلك معجزة سيدنا عيسى عليه السلام ، إذ ازدهر في ذلك العصر الطّب والفلسفة التي بنيت على الأسباب، فكانت ولادته من غير أب خرقاً للأسباب الطبيعية الجارية، قال تعالى:﴿⬂”🡺❶▫☪⬀☞☐ᘓ❐ ❖⬀▫② 🇬🇧⑧🖒♋♈❑⬀❁☪❹⑦☠☞✍♌⬀✡✠﴾

🕭✍⬀❁⇔☜⬀☹♓⇘⌘⬂♦🕭🕮✍♌⬀✡✠ ☹✍✡⬀☞✍♌🡸❹⬂❺

✍❁⇔☜⬀♌❺☐♌♦ ✍⇘❶⬂♋☜⬀❁🕭▭♊✌

☹✌♦♋❀🖂♌✡⬀☞ ✍⇘❶❁🕭 ✉♒⬀☠ᘓ☜⬀♌①❁⇳☜⬀♌⬀✡✠

⇘♌▫✧☪⬀☞❶✌ ⬂⑧🗣❁🕭✍❁☪✠ ☎🗁⌛◑ ☹✍⌑♋⬀☞🡺☐⇘⌘

♋⑥⬀⇔☜⬀▫② 🡺❖✂🖫♌①⬂❺♎♦🕭✍♊✡⬀☞ 🕬♈❐☐⬀♌■🕭🕮✌

☎🗁🖷◑ ☹✍⬀⌑♋☜⬀▫☪⌖⬀❁⑦☞ ♋⑧🗣⇔☜🕬⬀③ ◆▭♊✌

🖃♑☐♍⬀⌘⇘♦ ✍❁☪⬀☞🕭🕮✌ 🕬✍♌①☠☪⬀☞▭♊✌ ✉♑✍❁☪✠

---

1 - ينظر، مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص 15/ 16.

2 - سورة الشعراء، الآية:32.

وقبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلغت الفصاحة والبلاغة أشدها، وأخذت الكلمة الرّاقية في نفوس العرب تقديساً وتعظيماً، فقد أبهرتهم المعلقات فعلقوها في جوف الكعبة، لأنّها مقدسة ومكان شريف عندهم، فجاءت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم أصدق حجّة جعله الله كتاباً يتلوه إنسان، ليبهر العقول ويعجز كل من شككوا في صدقه واتّهموه بالجنون والسحر ».[2]

قال المولى جل جلاله:

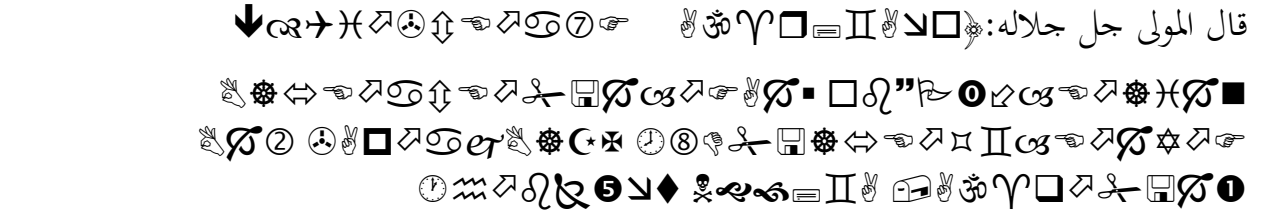

1 - سورة مريم، الآيات: 17 / 22.

2 - المرجع نفسه: ص 16.

[illegible] .[1]

ثانيا: مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم:

اختلفت آراء العرب و تباينت أقوالهم في تحديد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، فمنهم من جعلها عشرة مظاهر، ومنهم من جعلها مظهرا واحداً، غير أننا إذا تتبعنا هذه المظاهر التي ذكرها العلماء قديماً وحديثاً، فنجد أنّ العديد منها يتشابه ويتداخل في بعضها البعض، فهناك مظاهر كثيرة تدور حول الأسلوب الفريد للقرآن الكريم، وأخرى تتعلق بالإخبار عن الغيب، وبعضها ينص على التشريع القرآني وعمومه، والبعض الآخر منها يتعلق بالكون الطبيعية والحياة، لذا يمكن جمعها فيما يلي:

أ-الإعجاز البلاغي.

ب-الإعجاز الغيبي.

ج- الإعجاز العلمي.

تختلف مظاهر الإعجاز القرآني وتتنوع لتشمل عددا من المواضيع والمجالات، ومن ذلك نذكر الإعجاز البلاغي، والإعجاز الغيبي والإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي.

أ-الإعجاز البلاغي:

للقرآن الكريم أسلوب خاص هو الطريقة التي ينفرد بها في تأليف كلامه،والقرآن الكريم تميّز عن جميع أنواع الكلام البشري، فهو خارق في انتقاء الحروف والألفاظ والتراكيب المحكمة، جارٍ على المنهج العربي المعتاد من حيث الألفاظ والجمل، ولكنه خارج عن المألوف من حيث أسلوبه الفذ، فلا وجود لوجه شبه بينه وبين أي أسلوب من أساليب العرب، لأن الإعجاز البياني للقرآن هو اشتمال

1 - سورة سبأ الآية: 43.

القرآن على النظم الغريب، والوزن العجيب، والأسلوب الفريد والعذوبة في حسن السامع والأثر في النفس، فقد ورد في تعريفه: « هو إثبات عجز الإنس والجن على قدرتهم بالتحدي على أن يأتوا بمثل القرآن في بيان تشريعه عبادة ومعاملة قصد إظهار صدق الرسول في دعواه، ونريد من قولنا (بيان تشريعه) ، أي بيان محكمه من الآيات لأنّها دالة على التشريع » [1].

ويروى عن الجاحظ (255هـ) أنّه كان يرجع إعجاز القرآن إلى نظمه وتأليفه وبلاغته الساحرة، وذلك كلما تحدث عن عجيب هذا النظم القرآني: « وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البراهين وتأليفه من أكبر الحجج »[2].

كما جعل الرماني (386 هـ) البلاغة مصدر الإعجاز في القرآن الكريم، وركّز على هذا الوجه وفرق بين البلاغة في كلام الناس والبلاغة في القرآن الكريم، إذ يقول:« فأمّا البلاغة فهي على ثلاث طبقات منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجزة وهو بلاغة القرآن، وما كان دون ذلك، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليست البلاغة إفهام المعنى لأنّه قد يفهم المعنى متكاملاً أحدهما بليغ والآخر عيي والبلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى لأنّه قد يحقق اللفظ على المعنى، وهو بحث مستكره ونافر متكلف، وإنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجزة للعرب، والعجم كإعجاز الشعر المفعم، فهذا معجز للمفعم خاصة، كما أنّ ذلك معجز للكافة » [3].

1- ساسي عمار، الإعجاز في القرآن الكريم، دراسة نظرية وتطبيقية في الآيات المحكمات، ص 73.

2 -عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية أدبية حول إعجاز القرآن،دار الكتاب الحديث، 2003م، ص 29.

3 - المرجع نفسه:ص 61.

وهذا الكلام المثبت للإعجاز البلاغي من احد شيوخ المعتزلة يثير الكثير من التساؤلات خاصة و ان المعتزلة يرفضون هذا الوجه الإعجازي و يقولون بالصرفة،و مما يجب التنبه إليه أن من قال بالصرفة لا يوجد له دليل نقلي، وإنما جل ما اعتمدوا عليه في إقامة صرح مذهبهم هو أدلة عقلية، كما ذكر الرماني فقال: « القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر فيها للعقول »[1].

فهذا الذي ذكره الرماني كحجة تظهر للعقول، على أن هناك تعليلا عقليا آخر ذكره الباقلاني في معرض رده على من قال بالصرفة، وأنه من أمكنه نظم كلمتين ومن ثم مثلها إلى أن ينظم قدر أية أو سورة، فقال: « فلم زعمتم أنّ البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات، وتصرفهم في أجناس الفصاحات، وهلا قلتم من قدر على هذه الوجوه البديعة بوجه من هذه الطرق الغريبة، كان مثل نظم القرآن قادراً، وإنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف أو يمنعه من الإتيان بمثله، ضرباً من المنع أو تقصر دواعيه إليه دونه مع قدرته عليه، ليتكامل ما أراده الله من الدلالة، ويحصل ما قصده من إيجاد الحجة، لأنّ من قدر على نظم كلمتين بديعتين، لم يعجز عن نظم مثلها، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى، وكذلك الثالثة، حتى يتكامل قدر الآية والسورة »[2].

أما الباقلاني (403 هـ) فيرى أنّ النظم القرآني نظم بديع لا هو نثر ولا شعر ولا قدرة لمخلوق على تأليف مثله مهما بلغت فصاحته يقول: « القرآن آية للرسول صلى الله عليه وسلم، ومعجزة شاهدة بصدقه دال على نبوته من ثلاثة أوجه أحدهما ما فيه من عجيب النّظم وبديع الوزن والرّصف المخالف لجميع أوزان العرب و نظومه، وأنّه لا قدرة لأحد من الخلق على تأليف مثله، ونظم مثل سورة منه أو آية من طوال سوره، أو من قصار سوره، ولو كان في فصاحة قحطانَ ومعدٍ وعدنانَ » [3].

2- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1976م، ص 110.

2 – أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أبو بكر عبد الرزاق، دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر، 2013 م، ص 46.

3- أبو بكر الباقلاني، الإنتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2001م، ط01، ص 66.

ب-الإعجاز الغيبي:

في القرآن الكريم أمور غيبية كثيرة، وهي التي لا يقدر البشر عليها، ولا سبيل لهم إلى ذلك إلاّ الله سبحانه وتعالى الذي عنده مفاتح الغيب، وهو الذي عنده علم ما كان وما سيكون، وهناك أمور قد ذكر القرآن أنّها حصلت في زمن مضى، ولا علم للبشر بها وهناك أمور أخبر بوقوعها، وهناك الكثير ممن رؤوا القرآن معجزا لما فيه من أخبار الغيب، « إنّ ظاهرة الإخبار عن المغيبات في القرآن الكريم، وتصديق وقائع لها، وعدم تخلف الصّدق عنها، ولو في جزء بسيط بدليل على أنّه وحي ممّن خلق الأرض والسماوات العلى أنزله على رسوله ليكون دلالة على صدقه » [1].

كما يرى أبو إسحاق النظّام وهو من المعتزلة (ت 213 هـ) أنّ إعجاز القرآن فيما تضمنه من أخبار عن الغيب يقول: « إنّ الآية الأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أنّ الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم »[2].

كما جعل الباقلاني الأخبار عن الغيوب وجهاً من وجوه الإعجاز الثلاثة، وذلك مما لا طاقة للبشر عليه بقوله:« ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه » [3].

كما تحدث الخطابي (388هـ) أيضاً عن إعجاز القرآن لما فيه من إخبار عن الغيب: « فلن يكون تنبؤهم بما سوف يكون تنبؤاً قاطعاً، وإنّما هو ضرب من غلبة الظّن، وترى حدسهم وما تنبؤوا به لا يقع كما وصفوه وضبطوه، وإنّما يقع في أحسن الحالات على صورة قريبة منه، ولم يكن الأمر كذلك فيما أخبر عنه القرآن » [4].

---

1 -مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص 198.

2- عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية أدبية حول إعجاز القرآن، ص 22.

3 -أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 33.

4 - أبو موسى محمد، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لأهل العلم (د،ط) مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 2006م، ص 57.

ويضيف الخطابي في حديثه أنّ القرآن معجز أيضاً بما فيه من أخبار الغيب، وأنّ هذا الأمر ليس باستطاعة البشر: « ومهما برع المتوسمون من الأحداث وخبروا منطقها وتسلسلها ودققوا في معرفة العلل، وترتب المسببات على الأسباب ثم قاسموا الغائب على الشاهد بالحسابات الدقيقة فلن يكون تنبؤهم لما سوف يكون تنبؤاً قاطعاً، وإنّما هو ضرب من غلبة الظّن وترى حدسهم وما تنبؤوا به لا يقع كما وصفوه وضبطوه، وإنّما يقع في أحسن الحالات على صورة قريبة منه ولم يكن الأمر كذلك فيما أخبر عنه القرآن » [1].

إلاّ أنّه يوّضح ذلك ويرى أنّه ليس عاماً فهو ليس موجود في كل سورة بينما القرآن كل سورة معجزة بنفسها فقد عجز الخلق على الإتيان بأقصر سورة منه.

والإخبار عن الغيب ينقسم إلى أنواع ثلاثة هي:

أولاً: الإخبار عن الغيب الماضي:

ويتمثل في الإخبار عن قصص الأنبياء والرسل وأعدائهم من الكفار، وهذا النوع نجده بكثرة في القرآن الكريم مثل قصة سيدنا آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وقد جاءت بتفصيل دقيق في أسلوب رائع مشوّق، قال تعالى:﴿☞⑦⬀◻♓⬀⬀⑥ॐ ②◻⬀❖⬊ ✌❁☞⬀☾☜✡⬀Ø✌⬀◻■ ✌O✍℮♁❍☾❁⬀☜♋⬀♆☼ ☜⬀☾♋☐❺⬂☜♋⓿⬊✌⬀ ✌♊▤℮❁⬀☜♋⬀⑥ॐ ② Ø✌ ☜⑦❁⬀❍⬀♓❁①♌⓿⬊✌⬀ ✌📖🔔☜⬀☾♆⑧ॐ ③⬀⬀☜⬄♆⑧ॐ ❁☾⬀✡⬀☞ ②◻⬀❖ ✠☾❁⬀◻⬀② ♌⑥ॐ ✠☾❁⬀☜✡⬀♒🏳 ◻⬊♋♋❁ ✌O◆♎ ✠✡⬀Ø✌❾⬀☜✡♊⬀♦🏳 ✌ॐ♈❑⬀✁🖫Ø❶ ✌❁♋℮♁❍Ø🖫✁⬀⌖☾◻⬀☜✡⬀Ø⬀⑩⑦❁ ℮←♓♁①♌⬀☜⇧☠⬀⌖☾◻⬀☜♋❖⬊ ⦾☽📰☎﴾[2].

ثانيا: الإخبار عن الغيب الحاضر:

1- المصدر نفسه: ص ن.

2 –سورة هود الآية: 49.

وفي ذلك أمثلة عديدة في القرآن الكريم ككشف حقيقة الكافرين والمنافقين، قال المولى عزّ وجلّ: ﴿ ☹✌☐✌♈❑⬀☸☪➍⑦☠⬀☞✈☸✌ ↘❖♋⬀☞▫♈❑♏✍❍✌ ☹✌⬩⬀⬃✡⌖✌③↘☐ ☹✌⧫✌♂⬩☼⚐❾ ☹✌❑☼⬀⧓➍⬀⬃⍓♂② ↘❖⬃♋☜⬀♂✡⬀☞ ☝✌☪⌖♋⬀☞⮲⬩⬀⬃✡⌖⬀☸⑦☞↘☐ ☹✌❒✌ॐ❾⬃⧫▤♊✌↘☐ ↘❖♋☜⬀▫⬄☜⬀▫②☐⬀♌①☺♏✍☸✌ ♁♌⑩⬀☸♏☐♍⬀⌘↘⧫↘☐ ☸⬈✍☸✌ ↘♉☝↘⧫✌♂➎ ⮚❖♂①✧⮨♏ ♎❖♌✡⌖▫⬀♓⬃➍♂⬀♋☜⬀☸♏↘☐ ✍▤♒⬃✡☜⬀☸☪✠ ❖⬀▫② ☠⬀⬂▤♊✌ ⬀✌⬀☸☪⬀☞☺❒↘⧫☸✌ ↘◆▤♊✌ ✍❑↘⓿✠❀⍓♂♋⬀☞ ⬈♌✍✌↘☐ ✍⬇♋✈⬄☜⬀⬃⍓♌➍☺♏✍☸✌ ☎🗁🗀🖰♋ ↘◆☐♌✡⬀☞▫♈❑✁🖫ॐ⬀④☸♏ ⬃”♌⓿☠☪⬀☞▤♊✌ ﴾.[1]

ثالثاً: الإخبار عن الغيب بالمستقبل:

وهذا موجود في القرآن الكريم، فمثلاً الإخبار بانتصار المسلمين، وغير ذلك مما سيكون في مستقبل الزمان، قال الله تعالى: ﴿ ♏☠⌖☪☸⬀☐✠ ❾ॐ☐ॐ⬧ॐ ✌☸✍⬈♌⬈ ⧫↘⌘⬀♍☐♏☸⬀⑩♌ ☞⬀✡♊✌♏➍♂❄⮲⌑ ☞✍♏⬩♏▪⬃☞⬀♋⬀☞⮭✌ ✌☸✍♏☺①♂⍓⬀⬃➍☼⬀☐ॐ ♏☸⬀☜⇳⬀☸❑✠➎☪♋⬀♓♋❖♎ ✌☸✍♏☺➍♂⬀⬩♂✌“♂ ✌♊▤◆ ⌘❀ॐ✌⬈▪♂ ✌☸✍⬈♌⬈ ▪♂✌②▫⬀☜⬄▫⬀☜♋❖↘ ②♌➍♂♓✧⬀▫⌖☪▫⬀☜♋❖↘ ⧫♌▪♌☐⌘↘④⬀✍”⬃ ☐↘②♌⌖☪☸❽☼⍓⬀⬃⮲☞⬀♋❖↘ ☙☙☸ ☞⑦☸➍☪☸✌✠✡♌⬀☐◆↘✍ ✠✡⬀♂❍♂⬀▫♓⬀”♂ ②♂✌ ♏☸⬃ ”⬃ ☞⑦☸⬀❍⬀⬃♓☸①♌⬀☐✌☺ ✠✡⬀♂➍⧓♂⬀❍♂⬀♒⬀✉ ②▫⬀❖ ✠✡⬀♂⬀☜⇳☺➍✌☹ ☐♈ॐ✓♏⮨⑥ॐ ☐☐♋◆⮲ ✠☪☸⬀⬩⮲☞⬀♋⬀☜✡✌✋ ﴾.[2]

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ✌🕮🕭♏☸☒”⬂¤⬈✍ ■☪♋⬀♓⬀▫⬀☜✡⬀♂✍⑧⬂ ✌☸✍☙☙☸⧫⬃❻⬁⮲ ✠✡⬀⮲♎⮳ ✌🕮🕭☐☺⬀☞⬀☪☸♋ ✌❍✍♏⬩♍☐“♌ ■☪☸♓☸⬀☜✡♊⓿⮲”⬃ ☞⬀✡♂❍⬀⬃⬀❑▫ ②▫⬀¤⬀❖⬆ ☐↘➊♋” ⌘↘☜♋⬀♂❍☪☺⬀♓⬀▫⬀☜✡⬀♌⬀☐◆↘ ♋🗀☎ ﴾.[3]

---

1 –سورة التوبة، الآية:107.

2 – سورة الفتح، الآية: 27.

3 – سورة الروم، الآية 01.

ج-الإعجاز التشريعي:

تتميز التشريعات التي جاءت في القرآن الكريم بأنّها إلهية المصدر أي أنَّها من عند الله سبحانه وتعالى، وشاملة لمختلف مجالات الحياة من: عبادةٍ، وعقيدةٍ، وأخلاق، ومعاملات، كما أنّها تشريعاتٌ ميسرةٌ ولا تكلف الإنسان فوق طاقته، بالإضافة إلى أنَّها تتميز بالعموم والشمولية أي أنَّها جاءت للبشركافة في كل مكانٍ وزمانٍ ولم تخاطب طائفةً أو فئة معينة.

إنّ الحديث عن نظام الكون الخالد وما فيه، هو حديث عن التشريع، لأنّ الذي أبدع الكون من عدم، وأوجد فيه من المخلوقات ما لا يعد ولا يحصى، وجعل أشرف هذه المخلوقات على الإطلاق بني آدم، وكرّمه بالعقل واختار لهذا المخلوق الذي فضله على غيره دستوراً ومنهاجاً في حياته، ينظم سلوكه، وعلاقته بنفسه وخالقه، فقد كان الإنسان في الجاهلية يحمل طبائع سيئة وأخلاق فاسدة، وعادات قبيحة أوصلته إلى الحضيض، إلى أن جاء القرآن الكريم ليهذب هذه الرذائل، فصارالقرآن مصدر تشريع ومصدر أخلاق، فهو معجز بقيمه و أحكامه التي خارجة عن قدرة البشر في أي زمان ومكان.

« الأسس الأخلاقية، والقواعد التشريعية السّامية التي يتضمنها القرآن الكريم تخرج عن طوق البشر إحاطة ودقة وشمولاً »[1].

إنّ ما اشتمل عليه القرآن الكريم من تشريع وأحكام لآية بيّنة، ودليل قاطع أنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجهل وعبادة الأوثان إلى نور الإيمان والهداية وعبادة رب العباد، والتمسك بحبله المتين كي لا يضلوا بعده أبداً قال تعالى:﴿ ﴾

1 -مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص 205.

[illegible][1].

كرّم القرآن الكريم الإنسان، وهذّب سلوكه وحرره من العبودية وجعله عبدا لله الذي خلقه، وساوى بين البشر فلم يفرق بينهم إلاّ بالتقوى، وتميز التشريع القرآني بميزتين أساسيتين:

أولهما: سمو ورفعة مكانته، فلا يوجد أي تشريع يضاهي تعاليم القرآن الكريم وأسلوبه وحكمته.

ثانيهما: شمول وعموم التشريع القرآني، فكل ما يحتاجه الناس على اختلاف أجناسهم ووجودهم فقد وضع أحكاماً وقوانينها ونظمًا.

وسيظل هذا التشريع السماوي أسمى تشريع، وتظل فائدته الإنسانية دائماً لأنّه ممن خلق الإنسان والعالم أجمع، فلا تستقيم الإنسانية، ولا يتألق أناسها إلاّ إذا عملت بهذا التشريع الإلهي المحكم في تعاليمه ونظمه.

د–الإعجاز العلمي:

يشير القرآن الكريم إلى عددٍ من الحقائق الكونية والظواهر التي لم تستطع العلوم المكتسبة من التوصل إلى فهمها إلاّ بعد نزول القرآن الكريم بقرون متطاولة، ولقد سعى علماؤنا من خلال ما سموه الإعجاز العلمي في القران الحكيم إلى الكشف عن هذه الظواهر و الوصول إلى حقائقها.

« هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ».[2]

القرآن الكريم كتاب معجز علمياً لأنّه لم تتسرب إليه أسطورة من الأساطير التي تتردد عن أصل الحياة، فالقرآن جاء بمعطيات علمية لم يعلمها الإنسان، والعلم لم يأت بشيء يتعارض مع

1 – سورة الصف، الآية:09.

2– المصلح عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، تاريخه وضوابطه، 2006 م، ط2، ص22.

القرآن، بل هو لم يصل إلى الحقائق المطلقة للقرآن، فمن القرآن استخلص العلماء نظريات علمية عن كينونة الإنسان، فالخالق سبحانه يعلم تفاصيل ما خلق ودقائق ما أبدع، ثم إنّه يجود بعلمه على من يشاء من عباده، فإن شاءت إرادته عرفوا واكتشفوا ما شاء من معارف وعلوم، فالإعجاز العلمي يعرف أنه: « إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم » [1].

وعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ) بقوله: « الإعجاز العلمي والكوني هو كشف الصلّة بين آيات القرآن الكريم الكونية التي تتحدث عن الكون وأجزائه ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به القرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان » [2].

القرآن الكريم مفتاح لكل العلوم ونافذة للإدراك، هو الكتاب الذي ألّم بكل ما خطر على بال أحد من الخلق، يقول الله تعالى: ﴿

﴾ [3].

وقد دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلى التفكير والتدّبر في خلقه في آيات كثيرة من كتابه العظيم فجاء في قوله عزّ وجلّ :﴿

﴾

1- المرجع نفسه، ص ن.

2 -العواجي محمد عبد العزيز، إعجاز القرآن عن شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القران للبقلاني، ط1، دار المنهاج للرياض،1427هـ، ص194.

3 - سورة النحل، الآية: 89.

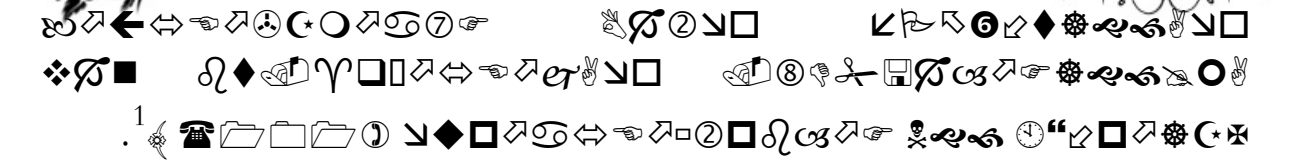

وكذلك قوله تعالى في موضع آخر يدعو عباده إلى التدبر:

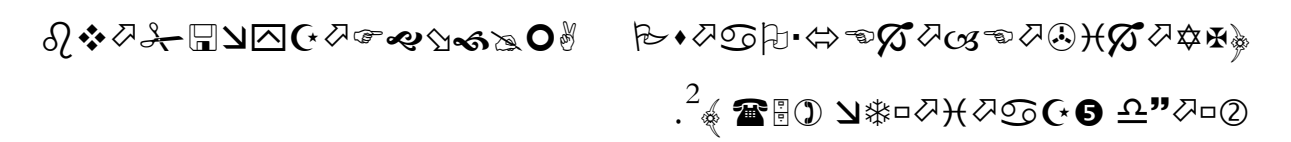

ثالثا: الإعجاز القرآني بين القدامى والمحدثين:

1- : الإعجاز عند القدامى:

لقد تحدث الكثير من العلماء عن إعجاز القرآن، وما هو سر هذا الإعجاز ؟ وعن عظمة بيانه وجلال أسلوبه، ومن بينهم:

أ-الخطابي: هو أبو سليمان حميد بن محمد بن إبراهيم الخطابي(388هـ ت) من علماء السنة والجماعة، كانت حياته حافلة بالعلم والأدب له العديد من المؤلفات من بينها « بيان إعجاز القرآن . »

إذ تعرض في هذا الكتاب لآراء سابقيه في الإعجاز، وقد كان موضوع النظم القرآني هو أساس البحث في كتابه هذا، فقد ركّز على موضوع النظم تركيزاً شديداً إذ يراه هو الوجه البارز في إعجاز القرآن فأسلوب القرآن هو نظم كامل لا قدرة لمخلوق عليه.

و بيّن الخطابي أنّ إعجاز القرآن كامن في نظمه « إنّ عجز القوم عن المعارضة إنّما يتعلق بذات الأسلوب القرآني الذي يسمو عن متناول لناس والجنة أجمعين، ومهما كان إبداعهم في فن

1 - سورة يونس، الآية: 101.

2 - سورة الطارق، الآية: 05.

القول فلن يسعهم آخر الأمور إلاّ أن يقروا بعجزهم إزاء هذا الأسلوب القرآني البالغ من الرّوعة والجلال حدّ الإعجاز » [1] .

ويضيف أيضاً في مفهوم الإعجاز « واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أحسن المعاني، من توحيد له عزت قدرته وتنزيه له في صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان منهاج عبادته، لا من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيئا أولى منه، ولا في صورة العقل أمر أليق منه » [2].

ويرى الخطابي أنّ ألفاظ القرآن جذابة منسّقة بطريقة عجيبة لا يمكن أن يرقى إليها كلام البشر مهما بلغ من العلم، ومهما كانت بلاغته، فهو يخرج على عادة كلام الإنس والجن « ومعلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسّق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله ثم صار المعاندون له ممن كفر به وأنكره يقولون مرة إنّه شعر لما رأوه كلاماً منظوماً، ومرة سحر إذ رأوه معجوزاً عنه غير مقدورٍ عليه وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلوب، وقرعاً في النفوس يربيهم ويحيرهم » [3].

فالكفار وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون، وقالوا إنّه شاعر وذلك لما عجزوا على أن يأتوا بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿

---

1 – عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، ص 77.

2– الرماني الخطابي الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط03، دار المعارف، مصر، 1976م، ص 27.

3– عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، ص 79.

.[1]

ب–الباقلاني: هو أبو بكر محمد بن الطيّب بن جعفر بن القاسم الباقلاني (372هـ ت) أديب وعالم له عدّة مؤلفات من بينها كتابه «إعجاز القرآن» وقد بيّن في كتابه وجوه الإعجاز بالإضافة إلى أنّه ردّ فيه عن أراء السابقين وناقشها، وقد ذكر أنّ القرآن معجز في ثلاثة وجوه هي:

أولاً:الإخبار عن الغيوب « ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه » [2].

ثانيا: بديع النظم وبراعة التأليف «إنه بديع النّظم، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه » [3].

ثالثاً: الإنباء عن قصص الأولين «إنّه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنّه أميٌّ لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ ولم يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم »[4].

ويرى الباقلاني أنّ القرآن فريد في أسلوبه ومتميز عن غيره من أساليب البشر، وأنّ العرب مهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة لا يستطيعون قول كلام يضاهي القرآن في بلاغته وبيانه وفصاحته، ويشتمل على معانيه وفوائده وحكمه العديدة « هو عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها زمن ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج وحكم أحكام وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة وشيّم

1 – سورة الحاقة، الآية: 40 / 43.

2– الباقلاني، إعجاز القرآن، تح:السيد أحمد صقر (د، ط) دار المعارف، مصر، 1971م، ص 33.

3– المرجع نفسه، ص 35.

4 –المرجع نفسه، ص 34.

رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي تشتمل عليها، ونجد كلام البليغ الكامل والشّاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على اختلاف هذه الأمور» [1].

كما تحدث الباقلاني عن عجز العرب عن الإتيان بمثله وتحدّيه لهم بأقصر آية منه، فعجزوا عن ذلك «، والذي يدل على أنّهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنّه تحداهم إليه حتى طال التّحدي وجعله دلالة على صدق نبوته ضمن أحكامه استجابة دعائهم، وأموالهم وسبب ذريتهم، فلو كانوا يقدرون على تكذبيه لفعلوا، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم، وأموالهم من حكمه بأمر قريب هو عاداتهم في لسانهم، ومألوف من خطابهم، ولو كان ذلك يغنيهم عن تكليف القتال وإكثار المراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسبب فلما لم تحصل هناك معارضة منهم، على أنّهم عاجزون عنها » [2].

ج–الجرجاني: هو أبو بكر عبد الرحمان بن محمد الجرجاني (ت 471هـ) معظم أثاره بين الأدب والنحو، وقد اهتم الجرجاني بقضية الإعجاز اهتماماً بالغاً فأفرد لها كتابين هما « أسرار البلاغة «و « دلائل الإعجاز « والمتمعن في هذين الكتابين لا يجد فيهما حديثاً إلاّ عن النظم، مما يؤكد أنّ الجرجاني وضع النظم موضع اعتبار في حقيقة الإعجاز، فقد أرجع الجرجاني الإعجاز القرآني إلى بلاغته الكامنة في نظمه على هذا الأسلوب والذي نزل به، لا في ألفاظه منفردة عن هذا النظم الذي جاء به، ولا في أنّ عبارة القرآن قد جاءت على ضرب من الوزن يعجز الخلق عن الإتيان بمثله ولا لأوزان الكلمات أو الفواصل في أواخر الآيات، كما أنّه لا يمكن هذا الإعجاز بما في القرآن من صور البيان المختلفة كالاستعارة وغيرها، لأنّ ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع النظم والتّأليف » [3].

1- المرجع نفسه، ص 36.

2 -مسلم مصطفى،مباحث في إعجاز القرآن، ص 20.

3 -عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، ص 140.

كما تحدث الجرجاني عمّا أعجز العرب عن الإتيان بمثله، وأرجع ذلك إلى خصائص النظم ودقائقه: « أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع براعتهم من مبادئ آية ومقاطعتها، ونجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر، وسورة كل عظّة وتنبيه، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجّة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنّهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة تنوب مكانها ولفظة ينكر شأنها أو يرى غيرها أصلح هنا وأنسبه،أو أحرى وأخلف ، بل وجدوا اتّساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور »[1].

ويضيف الجرجاني في ردّه على القائلين أنّ القرآن معجز بالصرفة،مؤكدا أنّ القرآن نظم فريد، وأنّ كلام العرب قبل نزول القرآن، لم يكن في مبلغ فصاحته، إذ يقول: « استحال أن يعلموا أنّ القرآن فضلاً عن كلامهم الذي يسمع منهم، وعلى النظم الظاهر الباقي لهم، ذاك لأنّ عذر القائل بالصرفة أنّ كلامهم قبل أن تحدّوا قد كان مثل نظم القرآن، وموازياً له وفي مبلغه من الفصاحة »[2].

ويرى الجرجاني أنّ القرآن الكريم يبقى كتاب الله الخالد ومعجزة رسوله الباقية والمنبع الذي تدفقت منه المعارف الرّاقية والدّراسات المتعددة ولن تنقضي عجائبه ولن يحيط بأسراره مخلوق مهما أوتي من العلم كما انتهى الجرجاني إلى أنّ التّذوق الوجداني لجمال الكلام وروعة النّظم هو الذي يساعد على كشف بعض نواحي الإعجاز في القرآن الكريم.

2- الإعجاز عند المحدثين:

لقد ظهر العديد من العلماء في العصر الحديث ممن صبوا اهتمامهم على البحث في إعجاز القرآن وذكر بيانه ومن بينهم:

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المدني، جدة، 1992م، ط03، ص 39.

2- الرماني الخطابي الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، ص 174.

أ-مصطفى صادق الرافعي:(1880م، 1937م) كانت حياته حافلة بالأعمال فقد كرّسها لخدمة الأدب والدين، فقد بذل جهداً ليس بالقليل في مجال البلاغة العربية، وإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وقد كان هذا واضحاً في كتابه « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»: « فيرى الرافعي أنّ للقرآن أسلوبا فريدا يتميز به عن جميع أساليب العرب «القرآن الكريم إنّما ينفرد بأسلوبه لأنّه ليس وضعاً إنسانياً البتّة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوب من أساليب العرب، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقه ونسقه ومعانيه » [1].

ويضيف الرافعي في مفهوم الإعجاز فيرى أنّه معجز بما انفرد به لا بما اشترك فيه مع غيره « ونحن إمّا نبحث من جهة ما انفرد به في نفسه على وجه الإعجاز لا من جهة ما يشركه فيه غيره على أي وجه من الوجوه، وأنواع البلاغة مستفيضة في كل نظام سويٍّ، وكل تأليف موقف وكل سبك جيد، وما كان من الكلام بليغاً فإنّه صار بليغاً، وإن كانت هي بعد في أكثر الكلام إلى تفاوت واختلاف » [2].

وقال الرّافعي أنّ العرب اندهشوا لأسلوب القرآن وروعته، وأنّه كان ليس من قبيل ما ألفوه «إنّ العرب لما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق، غير أنّهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماته في جملتها، ونسق هذه الجمل في جملته وما أذهلهم عن أنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود »[3].

ويرى الرافعي أنّ القرآن تحدى العرب في فصاحتهم التي برعوا فيها فيقول:« أعجزهم القرآن من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم، ومن جهة الكلام الذي هو سيّد عملهم » [4].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1973م، ط09، ص 203.

2- أبو موسى محمد، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لأهل العلم (د،ط) مكتبة وهبة، القاهرة، 2006م.ص 06.

3- محمد عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي، دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، ص 42.

4- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 167.

ويضيف: « أنّ القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً، وليس إلى ذلك مأتى، ولا جهة وإنّما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصفة وهيئة الوضع » [1].

فلم يخرج بذلك عما جدده العلماء السابقون، فكانت دراساته في اعجاز القرآن إثراء لما قدموه.

ب–محمد عبد الله الدّراز: (1894م)، أمضى حياته في خدمة الدين واللغة والقرآن، من بين الذين تحدثوا عن الإعجاز القرآني، له كثير من الأعمال من بينها كتابه المشهور (النبأ العظيم) والذي تكلم فيه عن الإعجاز .

وقد خلص الدّراز إلى أنّ الإعجاز في القرآن يكمن في ثلاثة وجوه هي:

-الإعجاز اللغوي.

- الإعجاز العلمي.

- الإعجاز التشريعي.

وقد كان تركيزه على الإعجاز اللغوي بتفصيل وتعمق، وقد حصر هذا الوجه في ناحيتين:

الناحية الأولى: وهي الجمال التوقيعي في توزيع الحركات والسكنات والمدّات والغنّات ، حيث يقول:« دع القارئ المجود يقرأ القرآن، يرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه على هدى القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هدى نفسه، ثم انتبذ فيه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ومدّاتها وغنّاتها واتصالاتها » [2].

الناحية الثانية: وهي الجمال التنسيقي في تأليف الحروف من مجموعات مختلفة يقول: « فإذا اقتربت بآذانك قليلاً، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجةً من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذّة أخرى

1- المرجع نفسه، ص 156.

2- مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص 110.

في نظم تلك الحروف ورصفها، وترتيب أوضاعها فيما بينها، هذا ينفر ذلك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وأخر ينزلق عليه النفس، وأخر يحبس عنده النفس، وهلم جراً » [1].

يرى أنّ للقرآن إيقاعا متنوعا ومتجددا، وهذا ما جعل العرب يقولون أنّه شعر وسحر إذ يقول: « ولا عجب إلى أن يكون أدنى الأوصاف إلى القرآن في خيال العرب أنّه شعر لأنّها وجدت في توقيعه هزة لا تجد شيئاً منها في الشّعر، ولا عجب أن نرجع إلى أنفسنا، فنقول ما هو بشعر، لأنّه ليس على أعاريض الشعر في رجزه، ولا في قصيده ثم لا عجب أن نجعل مرد هذه الحيرة أخيراً إلى أنّه ضرب من السحر لأنّه جمع بين طرفي الإطلاق والتقييد في حدّ وسط فكان له من النثر جلاله وروعته ومن الشعر جماله ومتعته » [2].

كما تحدث الدّراز عن أسلوب القرآن الكريم المتميز والمشتمل على عدّة خصائص إذ يقول: « إنّ الأسلوب القرآني مع كونه أكثر من الكلام افتناناً وتنويعاً في الموضوعات هو أكثره افتناناً وتلوينا في الأسلوب في الموضوع الواحد، فهو لا يستمر طويلاً على نمط واحد من التعبير، كما أنّه لا يستمر على هدف واحد من المعاني، ألا تراه كما ينتقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى، ينتقل في المعنى الواحد بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار، وجمل اسمية وفعلية، ومضى وحضور واستقبال، وتكلم وغيبة خطاب إلى غير ذلك من طرق الأداء على نحو لا عهد لأحد بمثله، ولا بما يقرب منه في كلام غيره » [3].

ج–سيّد قطب: (1906م / 1966م) وقد ألف سيّد قطب عدّة كتب حول القرآن ونظمه، وأسلوبه وبيانه ووجوه إعجازه مثل: (في ظلال القرآن) وكذلك (التصوير الفني في القرآن الكريم)، وكتابه (مشاهد القيامة في القرآن)، وقد كان مهتما بالتصوير الفني في القرآن الكريم وهو أول من إبراز الجانب الجمالي الفني في أسلوب القرآن الكريم من هذه الناحية، فيقول عن التصوير في القرآن:

1- المرجع نفسه، ص 111.

2- عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية أدبية حول إعجاز القرآن، ص 73.

3- عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية أدبية حول إعجاز القرآن، ص 81.

« يجب أن نوسع في معنى التصوير حتى ذلك أفاق التصوير الفني في القرآن فهو تصوير باللّون وتصوير بالحركة وتصوير بالتّخييل كما أنّه تصوير بالنّغمة تقوم مقام اللّون في التّمثيل وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السّياق في إبراز صورة من الصور تتملاّها العين والأذن والخيال والفكر والوجدان » [1].

كما يرى سيد قطب أنّ التصوير هو الأداة التي يفضلها الأسلوب القرآني من خلال تعبيره بالصورة عن المعاني الذهنية والحالات النفسية حتّى يرتقي بالصورة المرسومة بواسطة منحها الحياة والحركة المتجددة، وبهذا فإنّ سيّد قطب قد أضاف بعداً جديداً لمفهوم إعجاز النظم القرآني من الناحية البيانية.

وتحدث سيّد قطب عن أراء الباحثين في إعجاز القرآن ووجوهه إذ يقول: « بعض الباحثين في مزايا القرآن ينظر إلى القرآن جملة ثم يجيب، وبعضهم يذكر غير النسق الفني للقرآن أسباباً أخرى يستمدها من موضوعاه بعد أن صار كاملاً من تشريع دقيق صالح لكل زمان ومكان، ومن إخبار عن الغيب يتحقق بعد أعوام، وعن علوم كونية في خلق الإنسان » [2].

كما يضيف سيد قطب أنّ المتمعن في أسلوب القرآن وألفاظه حتماً سيدرك مواطن الإعجاز فيه إذ يقول:« فإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية، وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المرئي، إنّما هي ألفاظ جامدة الألوان تصور ولا شخوص تعبر أدركنا موضع الإعجاز في تعبير القرآن » [3].

1- سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1968م،(د، ط)، ص 37.
2- المرجع نفسه، ص 17.
3- الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، جدار العلم للملايين، لبنان، 2009م، (د، ط)، ص 320 .

كما تحدث عن عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، وأنّه قد سحرهم بأسلوبه، وكان له وقع في قلوبهم: « ولا ريب في أنّ العرب المعاصرين للقرآن قد سحروا قبل كل شيء بأسلوبه الذي حاولوا أن يعارضوه فما استطاعوا حتى إذا فهموه أدركوا جماله، ومسّ قلوبهم بتأثيره » [1].

1- المرجع نفسه، ص 230 .

الفصل الثاني : الإيقاع في القرآن الكريم

أولا : الإيقاع والوزن و الفرق بينهما

ثانيا : الإيقاع عند النقاد العرب القدامى والمحدثين

أولا: الإيقاع والوزن و الفرق بينهما

أ- الإيقاع لغة:

الإيقاع كلمة تستعمل كثيرا في مجال الموسيقى و الشعر، ورد في لسان العرب: « الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمّى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعنى، كتاب الإيقاع »[1].

وجاء في معجم الوسيط أن الإيقاع: « اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء »[2].

ومما نقله ابن سيدة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين: « أن الإيقاع حركات متساوية الأدوار، لها عودات متوالية »[3].

ومنه نستخلص أن الإيقاع في اللغة يحمل عدة دلالات كاللحن والغناء، واتفاق الأصوات وأنه حركات متساوية الأدوار .

ب- الإيقاع اصطلاحًا:

يعرف أبوحيان التوحيدي الإيقاع بقوله: « فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة ومتعادلة »[4].

كما يعرفه ابن سينا على أنه: « تقدير لزمان النقرات، فإن اتفق أن كانت النقرات منتظمة، كان الإيقاع لحنيا، وإن اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعريا و هو بنفسه إيقاعا مطلقا »[5].

1- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الرحمان محمد قاسم النجدي دار صادر، ج3، 1992م، ط1، ص 202 .

2- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية، ج2، د ت، مادة وقع، ط3، ص 1039.

3- ابن سيدة المخصص، سفر 13، مادة وقع، الكتب العلمية، لبنان، د ت، ص 10 .

4- أبو حيان التوحيدي، المقايسات،تح : محمد توفيق حسين،دار الآداب بيروت،1989 م، ط 2، ص 285 .

5- ابن سينا، الشفاء – الرياضيات-3، جوامع علم الموسيقى، تح : زكريا يوسف،نشر وزارة التربية القاهرة،1956م، ص 81 .

ويعرفه أيضا بقوله: « أنه كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة، ومعنى كونها موزونة، أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية هو كونها أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية »[1].

يقول محمود فاخوري: « الإيقاع يُقصد به وحدة النغمة التي تتكرَّر على نحو ما في الكلام، أو في البيت، أي: توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فِقرات الكلام، أو في أبيات القصيدة »[2].

كما يرى عبد الرحمن تبرماسين أن الإيقاع هو: « انسجام الصورة مع الصوت الذي يحدث في النفس اهتزازا وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة العادية بين الصوت و الصورة، فالجذب من قبل النظر للصورة، يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة، ونقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع ويصيران كلا واحدا » [3].

ويمكن التأكيد على الصلة الوثيقة بين معاني الإيقاع في اللغة ومعانيه في الاصطلاح إذ أن معانيه في اللغة: « الوقع، والمراد: وقعة الضرب بالشيء، ومنه، التوقيع. ومن معانيه: رمي قريب لا تباعده كأنك تريد أن توقعه على شيء، وكذلك: إذا أصاب الأرض مطر متفرق أو أخطأ فذلك توقيع في نبتها، والإيقاع: إيقاع ألحان الغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبنيها »[4].

نلاحظ أن مصطلح الإيقاع تتعدد معانيه وتختلف باختلاف موقعها في كلام العرب، أو في شعرهم، أو في فنونهم كالموسيقى والغناء والألحان .

ج- الوزن لغة:

1- ابن سينا، الشفاء، المنطق 9، الشعر، تح : عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1922م، ص 23.

2- محمود فاخوري، موسيقى الشعر العربي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1996م، ص 167/166.

3- عبد الرحمن تيبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، 2003م، ط1، ص 94 .

4- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (وقع)، ص 1167 .

يستعمل مصطلح الوزن كثيرا في مجال العروض وموسيقى الشعر وله عدة مفاهيم نذكر منها:

« الوزن: ثقلُ شيءٍ بشيءٍ مثله، كأوزان الدراهم، ويُقال: وَزَنَ الشيء إذا قدَّره، ووزَنتُ الشيء فاتَّزن... وَزَنَ يَزِنُ وزنًا » [1].

ويعرف ابن رشيق القيرواني(456 هـ) الوزن أنه:« أعظم أركان حد الشعر »[2].

قال ابن فارس (395هـ): «الْوَاو وَالزَّاي وَالنُّونُ: بِنَاءٌ يَدُلُّ على تعديل واستقامة، ووزنت الشَّيْءَ وَزْنًا، وَالزِّنَةُ قَدْرُ وَزْنِ الشَّيء، وَالْأَصْل وَزْنَةٌ... وَهَذَا يُوَازِنُ ذَلِكَ، أَيْ: هُوَ مُحَاذِيهِ، وَوَزِينُ الرَّأْيِ: معتدله، وهو راجح الْوَزْنِ: إِذَا نسبوه إِلَى رجاحة الرَّأْيِ وَشِدَّةِ الْعَقْل »[3].

وقد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان، و يراد به بيان قدر الشيء و قيمته، أورخس الشيء و سقوطه، كما قال تعالى:﴿ ﴾ [4].

نستنتج أن مصطلح الوزن يحمل دلالة لغوية مشتركة، وهي القيمة، وقدر الشيء ومكانته .

د- الوزن اصطلاحا:

1- الخليل بن أحمد، معجم العين، ج7، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر دار ومكتبة الهلال، ص 386 .

2- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مطبعة السعادة، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مصر 1963م، ص 134 .

3- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، مادة: (و ز ن)، (6/ 107)، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر،1979 م.

4- سورة الكهف، الآية: 100 .

ويعرف الوزن في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها: « الوزن هو الإيقاع المنتظم، وهو عنصر أساسي من عناصر الشعر لا غنى عنه، ومن المغالطة التعامل معه كأنه قيد محض »[1].

فالوزن أساس من أساسيات الشعر كما ورد في التعريف، وهو إيقاع تراتبي ومنتظم، وحرٌّ غيرُ مقيدٍ .

« والوزن هو الوسيلة التي يمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر على أكبر نطاق ممكن، ففي الكلام والوزن يزداد تحديد التوقع زيادة كبرى بحيث أنه في بعض الحالات التي تستعمل فيها القافية ايضا يكاد يصبح التحديد كاملا وعلأوة على ذلك فإن وجود فترات زمنية منتظمة في الوزن يمكننا من تحديد الوقت الذي يحدث فيه، ونتوقع حدوثه »[2].

فالوزن يتميز بوظيفة تأثيرية، يستنتج من خلالها كيفية حدوثه، وتنقله في حالات القافية، زيادة على ذلك فالوزن عنصر أساسي في الكلام .

هـ- الفرق بين الوزن والإيقاع:

كانت إشكالية العلاقة بين الوزن والإيقاع تدفع الباحثين الى وضع تفرقة بين المصطلحين التي تنبع من طبيعة الإيقاع الشعري و أبعاده التعبيرية و الشعورية،وهي إشكالية تناولها النقاد القدامى و المحدثون: « الوزن عند القدامى يعتبر الرّكيزة الأساسية التي يقوم عليها الشعر، أما عند المحدثين فيرتبط بالشعور، وبالرغم من هذه العلاقة الحميمية إن صح القول بين الإيقاع والوزن، إلا أن هناك من النقاد والباحثين الذين يقومون بالفصل بينهما كما ذكرنا آنفا، فتارة تجد أن الوزن يمثل جزءا والإيقاع يمثل الكلَّ، ومثلُ هذه العلاقات تعطي الإيقاع صورة الدائرة الكبرى، وتارة أخرى نجد أن الإيقاع يمثل الجزء الأصل والفارق الدقيق بينهما يتمثل في اعتبار الوزن هو الكم والإيقاع هو تنظيم لتراكم التفعيلات الإيقاعية »[3].

1- مهدي سامي، أفق الحداثة وحداثة النمط، دراسة في حداثة مجلة شعر بيئة ومشروعا أنموذجا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988م، ص 105 .

2- يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس بيروت، لبنان، 1982م، ط2، ص159 .

3- عبد الرحمن تيبرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003م، ط1، ص 85.

ومن هنا كانت محاولات محمّد مندور، حين استهدف وضع تفرقة أساسية بين الوزن و الإيقاع، فقال: « أما الكم (الوزن) فقصد بها هنا كم التفاعيل التي يستغرق نطقها زمنا ما وكل أنواع الشعر لا بد ان يكون البيت فيها مقسما الى تلك الوحدات وهي بعد قد تكون متساوية، كالرجز عندنا مثلا، وقد تكون متجاوبة كالطويل، حيث يساوي التفعيل الأول التفعيل الثالث، والتفيعل الثاني التفعيل الرابع وهكذا، أما الإيقاع فهو عبارة عن رجوع الظاهرة الصوتية على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة »[1].

ويضيف عبد الرحمن تيبرماسين عن علاقة الوزن بالإيقاع، قائلا: « الإيقاع ليس مجرد تكرار للأصوات والأوزان، تكرارا يتناوب تناوبا معينا، إن هذا النفي للعناصر التالية: الوزن، القافية، المقاطع الصوتية، وتكرار الأصوات، لا يعني ابعادهم عن دائرة الإيقاع، إنما لا يمكن تسميتها بالإيقاع، فالإيقاع أعم منها لأنه يشملها وهي من العناصر التي تكونه، وهو مسألة معقدة يتعلق ككل بالشعور الذي تشترك فيه الحواس جميعا،كما هو في مفمهوم ابن طباطبا ويخضع لمؤثر وقد يكون عنصرا من عناصره أكثر تناوبا وتداولا وهو السبب في خلق نظام، ما يجعلنا نستمتع ونتلذذ به » [2].

الإيقاع أشمل من الوزن، لأنه متعلق بالشعور الذي تجتمع فيه جميع الحواس، عكس الوزن الذي هو رصف للألفاظ و تكرار للأصوات تكرارا خاليا من الشعور .

إذا كان الوزن جزء من الإيقاع، والعلاقة بينهما علاقة تكامل، فإن الإيقاع كونه الأعم له دور كبير في الدراسات القرآنية والأدبية معا، فهو ليس مجرد وسيلة إطراب، أو أنه استجابة لحاجة نفسية، بل هو ذو قيمة خاصة من حيث المعاني التي يوحي بها، فالفن تعبير إيحائي عن معان تفوق المعاني الظاهرة، والإيقاع وسيلة هامة من وسائل هذا التعبير الإيحائي لأنها لغة الانفعال « للإيقاع قدرة أكبر على التعبير والتأثير والتصوير ذلك أن الإيقاع ليس إطارا كميا يقف عمله على رصف

1- محمد مندور، في الميزان الجديد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة، مصر، 2004م، ص233 .

2- المرجع السابق : ص85.

الألفاظ وترتيبها ترتيبا معينا، وإلا كان أصحاب المنظومات التعليمية أشعر الناس، ولكن له قيم كيفية وطاقات جمالية وقدرات فائقة على التعبير هي نصيبه في المساهمة في الشعر » [1].

فللإيقاع أهمية بالغة في الدراسات القرآنية خاصة،والأدبية عامة على مستوى الشعر والموسيقى وهذا لا ينفي وجوده في كل الفنون إلا أن درجة وضوحه تختلف من فن إلى آخر.

ثانيا: الإيقاع عند النقاد العرب القدامى و المحدثين:

1- الإيقاع عند القدامى:

إن الحديث عن مفهوم الإيقاع لدى النقاد العرب القدامى راجع إلى التنظير الأول لهذا المصطلح، في الدراسات الصوتية عند القدامى مع الخليل بن أحمد الفراهيدي، وبالضبط في علم العروض، فقد كان المصطلح متداولا غير مضبوط، وكان ابن طباطبا أول من استعمل هذا المصطلح، و في هذا الصدد يقول محمد بنيس: « تبلور مفهوم الإيقاع لدى النقاد العرب القدامى، أثناء محاولتهم البحث عن علة وقع النص . ولعل أول ناقد عربي يستعمل مصطلح الإيقاع هو ابن طباطبا حين يذهب إلى حد الشعر بالإيقاع لا بالعروض »[2].

يعرف ابن طباطبا الشعر، ويربطه بالوزن والإيقاع قائلا: « وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه لحسن تركيبه واعتدال أجزائه وإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر وتم قبوله له، واشتماله عليه، وإن نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي اعتدال الوزن وصواب المعنى، وحسن الألفاظ كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزاء » [3] .

اختلف مفهوم الإيقاع لدى النقاد العرب القدامى واكتسب عدة معان، والتي سبق ذكرها، ونحن الآن بصدد الوقوف على المصطلح عند بعض النقاد القدامى.

1- وقاد مسعود، البنية الإيقاعية في شعر فدوى طوفان، رسالة ماجستير غير، جامعة ورقلة، 2003م، ص 10.

2- ينظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، ج1، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ص 172.

3- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح: عبد العزيز ناصرالمانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1958م، ص21 .

أ-الرماني (384هـ): يتحدث الرماني عن البلاغة مشيرا في تعريفه إلى الإيقاع، قائلا:« إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ »[1]. وهنا يقصد بقوله: "في أحسن صورة من اللفظ" الإيقاع، لأن من أحسن صور اللفظ أن يقال تحت نغم إيقاعي واحد .

« ثم يقسم البلاغة الى عشرة اقسام: الإيجاز - التشبيه – الإستعارة- التصريف – التضمين- المبالغة- حسن البيان- التلاؤم – الفواصل – التجانس . فأنت ترى كيف أن الرماني يشير صراحة إلى الإيقاع القرآني على الرغم من غياب المصطلح في تلك الفترة فقوله: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ معناه اختيار اللفظة المناسبة، وهذا لا يكفي بل ينبغي أن يعلن عنها في سياق جمالي يعمل على تقديمها »[2].

ربط الرماني تعريفه للبلاغة يالإيقاع وذلك من خلال تقديم اللفظ في أحسن صوره، في سياق إيقاعي حتى يصل المعنى إلى القلب في سياق بلاغي .

ثم يتحدث عن الفواصل مشيرا إلى الإيقاع أيضا قائلا: « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة و إسجاع عجيب، ذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها »[3].

كما يربط علم الفواصل بعلم الإيقاع في التعريف السابق، مشيرا إلى العلاقة المتينة بينهما حيث الإيقاع يتم ضمن نظام الفواصل.

« وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي نحتاج إليها في أحسن صورة، يدل بها عليها، وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة، وذلك أنه ليس فيه إلا

1- الرماني الخطابي الجرجاني، ثلاث رسائل في الاعجاز القرآني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي تح :محمد خلف الله احمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، ص 75.

2- شارف مزاري، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجا،مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2009 م، ص44 /45 .

3- ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني للرماني والخطابي والجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي تح :محمد خلف الله أحمد محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص97 .

الأصوات المتشاكلة، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة، إذا كان المعنى لما تكلف من غير وجه الحاجة اليه والفائدة فيه لم يعتد به، وصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة »[1].

يتبين لنا أن فواصل القرآن تؤدي حسن المعنى، وفق أصوات إيقاعية محكمة، وليست أصواتا متشاكلة ولا سجعا، بل هي بليغة .

« والفواصل على وجهين أحدهما على الحروف المتجانسة، والآخر على الحروف المتقاربة، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى:([illegible]) [2] . وكقوله عز وجل: ([illegible] » [3]

. وأما الحروف المتقاربة، كالميم من النون كقوله تعالى: ([illegible]

1- المرجع نفسه: ص 98.

2- سورة طه، الآية :01 /08 .

3- سورة الطور، الآية: 01 / 05 .

والدال مع الباء نحو قول الله تبارك و تعالى: [1] .

وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف [2] .

الكلام من البيان ما يدل عليه المراد في تمييز الفواصل و المقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة، وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة، وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي، فلو بطل أحد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج، وبطل ذلك الحسن الذي له في الأسماع، ونقصت رتبته في الإفهام، والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر »[3] .

هذا التقسيم للفواصل يدل على أهميتها في تبيان المقاطع وتحسين الكلام وأداء الإفهام وتبليغ المعنى وإيصاله إلى النفس البشرية في أحس صورة .

« ولعل الإيقاعية بكليتها هي التي تجسد هذا السياق الفني الذي يجعل ورود اللفظة في أحسن عرض، وأعظم أسلوب، إن جعله لـ: التلاؤم، والفواصل، والتجانس من الأقسام العشرة التى تمثل أصول البلاغة العربية دليلا على إشارته إلى الإيقاع » .[4] وهكذا يتجلى الإيقاع في الأقسام العشرة للبلاغة عند الرماني .

1- سورة الفاتحة، الآية: 02 / 03 .

2 -سورة ق، الآية: 01 /03 .

3- المرجع السابق، ص : 99/98 .

4- شارف مزاري، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي أنموذجا، ص 45 .

« ولعمري إن ألفاظ القرآن لتحمل في هيئتها صورة إيقاعية تلازمها، لتساعد على التبليغ و الإيصال في أحسن صورة و أكمل صفة » .[1] وبهذا تكتمل صورة الإيقاع .

ب–الجاحظ (255هـ): يشير الجاحظ إلى لفظ الإيقاع بقوله: « إذا كانت ألفاظ البيت من الشعر لايقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينها من التنافر ما بين العلاقات، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا،كان على اللّسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة »[2].

نلاحظ من خلال كلام الجاحظ أن الألفاظ تقيم علاقات فيما بينها، وهذه العلاقات تلزم الكلمات بأن تكون متوافقة حتى لا تتنافر بعضها من بعض .

« فهذه اللفتات تحمل إحساسا خفيا بدور الإيقاع لأن أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد إفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان »[3] .

إن الشعر تنسكب ألفاظه في قوالب متلاحمة و متلائمة كأنها قالب واحد ليكون من الشعر الأجود .

« ولا يتحقق ذلك إلا حين تتآلف أصوات الكلمات وحروفها حتى تخلو من التوعر والتعقيد، الذي يعوق اخراج الحروف من مخارجها، حتى يكون اللفظ نقيا لا غريبا ولا وحشيا، ولا ساقطا ولا سوقيا، مما يوفر للفظة ان تقع موقعها، وتصير الى قرارها، والى حقها من أماكنها المقسومة لها، وبذلك يتحقق التناسب و التلاؤم والانسجام، (فالشيء لا يحن الى إلا ما يشاكله) »[4].

المخارج لها أهمية كبيرة و بالغة في استقامة اللفظ وحسن التمركز في السياق، وإلا فإن لم تحسن المخارج فسد اللفظ واشتكل المعنى .

1- المرجع نفسه : ص 46

2- الجاحظ،البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، بيروت،1998م ج1، ط4،ص 67/66.

3- المرجع السابق : ص67.

4- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 ص 138 .

« ومع ان الجاحظ كان حريصا على معنى البيان والإيضاح في فهمه لمصطلح البلاغة الا أن كثيرا من موقفه فيها جملة من المعاني و المبادئ التى نلمح فيها جوانب إيقاعية كإلحاحه على مبدإ مطابقة اللفظ للمعنى، ومراعاة مبدء التناسب بينهما، ودعونه كي يلتزم المتكلم الدقة في الجمع بينهما »[1] .

يتضح لنا من خلال فكر الجاحظ، أن اللفظ مطابق للمعنى،وهذه الفكرة تضفي جانبا إيقاعيا على الكلام في نظره.

« والكلام لا يستحق اسم البلاغة حتى يتسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه الى سمعك ألبق من معناه الى قلبك، وهو أحسن ما اجتباه الجاحظ وألح عليه أنه يحقق الهدف الأول للبلاغة عند الجاحظ وهو البيان والإيضاح والفهم والإفهام فمدار الأمر و الغاية التي عليها يجري القائل و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع »[2].

وهذا تعبير يوحي بالإيقاع أيضا من حيث ارتقاء الكلام إلى بلاغة بواسطة الإيقاع ليبلغ درجة الفهم و الإيضاح و إيصال المعنى .

« إن البلاغيين العرب على الرغم من أن أبحاثهم في مجال الإعجاز ذو علاقة حميمية بالدرس البلاغي، لم يكن مصطلح الإيقاع متداولا في مواقهم البلاغية، كما كانت إشارتهم إلى الوزن والقافية والبحر، هي التي يقصدون بها الإيقاع، مع أن البلاغيين العرب لم يكن مفهوم الإيقاع معروفا في عهدهم فأنهم تفطنوا إلى أن القافية وحدة إيقاعية معقدة التركيبة و البنية قوامها أجراس حروفها

1- ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا،1997م، ط1، ص53

2- المرجع نفسه : ص54 .

وحركاتها كما رأينا ذلك لقافية الشعر كما أنهم عرفوا الفاصلة أو القافية في السجع بأنها التواطؤ على حرف واحد »[1] .

عدم توارد مصطلح الإيقاع في الدراسات البلاغية، ليس دليلا على غياب الإيقاع في كلامهم، وإنما معرفتهم بالبنى الإيقاعية من وزن و قافية لأكبر دليل وجود الإيقاع، فلم يتناولوه في مباحث مستقلة، ولم يدرسوه دراسة علمية .

« وهكذا لم تتجه عناية الباحثين بدراسة الإيقاع واكتشافه من خلال النثر على الرغم من وجود كتاب الله الغني بالآثار الإيقاعية، على العكس فإن المحدثين تنبهوا لهذه الظاهرة وفي هذا يشير المسعدي إلى أن من بين محاولات البحث عن الإيقاع في النثر العربي فصل بعنوان: النثر الإيقاعي للدكتور صفاء خلوصي في كتابه فن التقطيع الشعري والقافية »[2].

اتضح مفهوم الإيقاع عند القدامى، وبرز دورهم في التنظير لهذا المصطلح وإشارتهم إليه في دراساتهم، وتبلورت معانيه المختلفة في كثير من المجالات،في القرآن و البلاغة و الشعر و العروض و الموسيقى وفي كلام العرب.

2-الإيقاع عند المحدثين:

شاع عند العرب المحدثين مصطلح موسيقى الشعر كفاعلية بين الشاعر و المتلقى، ليتحدد بعده مصطلح الإيقاع والذي نال هو الآخر بدوره حظا افر في الدراسات النقدية و الأدبية وهذه بعض النماذج التي تناولت مصطلح الإيقاع .

أ-عبد المالك مرتاض: لقد استهل عبد المالك مرتاض حديثه عن الإيقاع في كونه جاريا على سنن الكون، منسحبا على كل الخلائق مستمدا من الطبيعة: « ولعلّ من ارتعاشات الوردة حين يهزهزها النسيم العليل جاء الرقص، ولعل من انتفاضة الجناحين حين يحركهما الطائر السعيد جاءت الحركة،

1- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوب طبانة، منشورات دار الرفاعي، ط2، الرباط 1983م، ص75 .

2 -محمود مسعدي، الإيقاع في الشعر العربي مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، مطبعة كوتيب، 1996م، ص189 .

ولعل من خرخرة الجول الرقراق يجوده الغيث المدرار جاء الغناء، وكل الأصوات الرخيمة الرخية، وكل النغمات الجميلة الندية أساسها الطبيعة في حافرتها »[1].

وهذه دراسة تأملية و ذوقية يلتمس ويتذوق من خلالها الإيقاع وتتبين صورته عند عبد المالك مرتاض .

ويتحدث عن أسلوب القرآن وكيف أنه معجز بإيقاعه: « ثم ما يفتأ يقع تحت رحمة التنويهية التي تفنن فيها مزابر المفسرين والمشتغلين في حقل علوم القرآن، لإبراز المكامن التي تميز إعجازية القرآن، ولعل توجهه هذا يكون قد دفعه إلى حبه للقرآن من جهة، ولسلطة إيقاعيته من جهة أخرى، وهو دافع مبرر و مشروع، فأسلوب القرآن سيد الأساليب و إيقاعه أجمل الإيقاعات و أغناها و أكرمها و أسماها »[2]. فالإيقاع في القرآن الكريم تابع للمعنى وهو أفضل .

ويضيف قائلا: « أما على صعيد الممارسة فقد تجلى ذلك التحول في مجال النظرة الجديدة للإيقاع القرآني، لقد أُبتنِيَ القرآن في سورة بينية إيقاعية تطبع كل سورة بطابع التفرد من وجهة وطابع البنية العامة التي تصادفنا في النص القرآني عبر كل سورة من وجهة أخرى فالتفرد في أي سورة لا يعني الشذوذ أو النشاز بل ان هناك بنية نظمية عامة في مجال الإيقاع الآياتي لا يلفى إلا في هذا القرآن الذي يتخذونه ايقاعا لا تصادفه في نثر الناثرين من المبدعين، ولا في أشعار الشعراء المفلقين، الذين لا يجأوز عدد أطر ايقاعاتهم الستة عشر بحرا، على حين أن القرآن يتشكل تحت إشكال إيقاعية متنوعة غنية متجددة متفأوتة النفس متمايزة النغم »[3] .

وبذلك يكون عبد المالك مرتاض قد عمق فكرة الإيقاع بل وأكبر من هذا اعتبرها رأس ظاهرة الإعجاز: « وعلى ذكر مسألة الإعجاز التى مرج حولها مزابر الأدباء و النقاد و المفسرين و الكلاميين والفلاسفة المسلمين، فإننا نراها أساسا مجسدة في هذه الظاهرة النظمية العجيبة، والفريدة

1- عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، دار الهومة، الجزائر، 2001م، ص 263 .

2- المرجع نفسه : ص266 .

3- المرجع نفسه : ص 267 .

النسج، والبديعة الأسلوب، إذا فمسألة الإعجاز لدينا تتجسد في هذا الجبروت الخارق من النسج والإيقاع الداخلي و الخارجي، و الذي هو وارد في شكل إيقاع السورة من جهة، وفي شكل إيقاعات السور الأخرى المتلاحقة المترابطة من القرآن من جهة أخرى »[1].

ونلاحظ أن الإيقاع القرآني إضافة جديدة من جهوده، ودراسة حديثة تبلورت واتضحت عند المحدثين: « وربما يكون عبد المالك مرتاض بإشارته هذه للإيقاع قد قدم شعاعا آخر ينضاف إلى الداراسات القرآنية ذات الوجهة الفنية الخالصة لأنها ترتبط بأكبر مقوم تقوم عليه الجملة القرآنية والمجسد في الإيقاع ومما ميز نظرته أنها تعتمد السيميائية أسلوبا إجرائيا وتمازج بين الحرف و النغمة والحركة وليتراءى الإيقاع قشيبا يشع نورا متوهجا، ويغمر كل الآيات التي يتساوق فيها »[2].

وهكذا اتسمت صورة الإيقاع، وتبينت معالمه عند عبد المالك مرتاض، من حيث أنه ظاهرة إعجازية جليلة، وبالأخص في القرآن الكريم .

ب–صالح صبحي: وتعرض صبحي صالح إلى العديد من المباحث في علوم القرآن، فهو في مبحث إعجاز القرآن قد عالج مسائل متنوعة تتعلق بأمر الإيقاع وجماليته، ضمن المتن القرآني حيث جاء في فصل سماه بـ (الإعجاز في نغم القرآن)، قوله: «إن هذا القرآن . في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام . يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى، مملوء نغماً، حتى ليكون من الخطأ الشديد من هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع، لكننا نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص، إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤديها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه »[3] .

إن الأدبية الإعجازية للقرآن العظيم في منظور صبحي الصالح لها، عائدة إلى فنياته الراجحة في آي القرآن العظيم، فالإعجازية القرآنية عنده تمثلت في جانبها الصوتي الجمالي المشكل

1– عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، دار الهومة، الجزائر، 2001م، ص 268 .

2– شارف مزاري، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي أنموذجا، ص85/84.

3– الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، 1977 م، ط 1، ص 334 .

من العبارة الموسيقية التي تخللت المتنَ القرآنيَ ذا الطابعِ المكيِ على وجه الخصوص، و التي مست كل الأسلوب .

و صبحي الصالح بهذه الرؤية يتشكل الإيقاع عنده من أدنى تركيب الذي هو اللفظ، بل هو الحرف، إلى العبارة، ثم إلى السورة ليليَ ذلك كلَّهُ، الخطاب القرآني بوجه عام. وعن اللفظة يقول: « تكاد تستقل بجرسها ونغمها بتصوير لوحة كاملة، فيها اللون زاهياً أو شاحباً، وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً... وحين تتسمع همس السين المكررة تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها في قوله تعالى: ﴿ ☎🗁🗐🕐 ☸🐑◎🐟🡵🗲🡵✡✠ 🕐"🡲🖂🕉☪✠❶✌ ☎🗁🗐🕐 ☸☒🡵🗲❍🡵🡴🖂🗲■ ✌♋♈❒🖴♊✌ ☎🗁⌛🕐 ☸☒💣🡵⇔☜🡵🡵④🕉🏍✍❶✌ ♊♦✌🗲🗆🡵🗲🙾❹🕉🏍✍❶✌ ☎🗁📠🕐 ☸☒🡵🗲❍🡵🡴🖂🗲■ ✌♋♈❒🖴♊✌ ♓♐🡴♉☜🏍✌↘🗆 ☎🗁🖱🕐 ☸☒🡵♎✡✦☸⇔☜🡵☸⑦☞ ✌♋♈❒🖴♊✌ ☼❸🡴✡☜⌗❽🏍✌↘🗆 🕘♑🗆♍🡵⌘↘♦ 🖃♑🡴🗆🡵☸☪✦🡵☸🏍 🕯♌⑩🡵☠☪🡵☞🖴♊✌ ♏♒🡵③ 🕐"♉🡵☞🡲♦♋✡③ ☎🗁๑◉🕐 ﴿ ﴾[1]، وتقرأ قوله تعالى:﴿ ☜⑦⑩🡵☸☪✦★🖫☞🡵✌♋♈❒ 🕘☒🡴✡✦☸☪🡵☞ ✍🗲①☠☪🡵☞🖴♊✌↘🗆 🡴🡶⑧✍🡴🗆🡵🗲①🕉🏍✍ 🗲"🡴🡵③↘♦🗆🡵♌🙾❺❶✌ ↘◆🡴🗆🡵🙇✡✠🗲🗆🡵♋⑦☞ ❖🗲①🗲🡵✡✠ ✍▫⑦⑩🡵🗲①✂🖫🗲🡵♉☜🡵▫☪✦🕉🏍✍☸✌ ♊♦✍⌖🡵✈⇔☜🏍✍❶✌ 🡲❖🗲■ ↘❷☯🡲⬧🡵🡴❺♋☪♦ ☸⑦⑩💣🡵⇔☜🡵🗲❹🕉🏍✍☸✌ ✉♒🡶☪❺🕉❒❶✌↘🗆 ✍🗲②↘🗆 ✍☸☪♦✍🗲🡵✡✠ 🏳❑🡵☸☪✦🗲🡵✡✠ 🖃✍🖋🡵♉☜☪🕉🡵☞🙌❑🏍✍ ♋⑦⑨✍🗆🗲🡵♉☜🡵🗲❹🕉🏍✍☸✌ ☎🗁🖱🖷🕐 ♊♦🗆♌⬧🡵♋☪❍🕉🏍✍ ♋●✂🖫☸⇳☜🡵② ☠🐟🖴♊✌ ﴿ ﴾[2]،

فلا ترى في المعجم غير كلمة (زحزح) تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات، وما أحسب شفتيك إلا منطبقتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده ولا يكاد يسيغه، في قوله تعالى: ﴿②▫⌑🡵❖➢ 🗆♎↘♦✍🡵🡵⑩▫➹ ❺🙌🡵🗲❿↘🡴🡵⇔☜🡵🡵"♁ ②⍓🡵♎❑🕘 ☎🗁๑◉🕐 ❾☙❑▫☞🡵♋❑🕘 ②⍓🡵♎■✍🖋🕘

1- سورة التكوير، الآية: 14 /19 .

2- سورة آل عمران، الآية: 185.

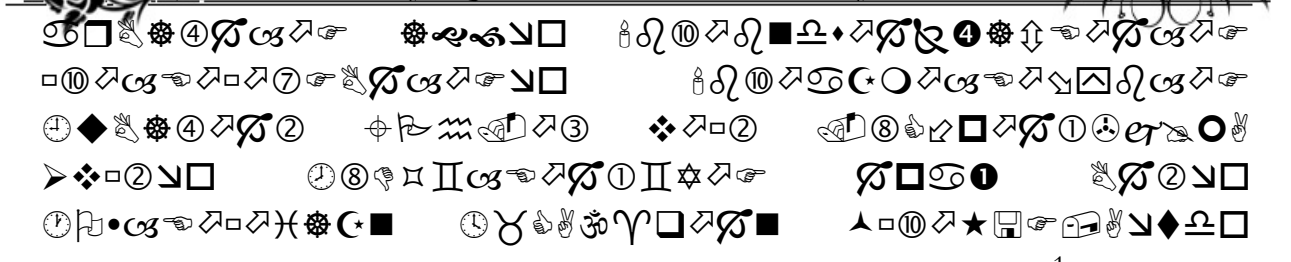

، ولا أحسبك إلا مستشعراً عنف لفظة (الكبكبة) في قوله عز وجل: [1]

[2]،

حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يكبون على وجوههم أو على مناخرهم، ويلقون إلقاء المهملين، فلا يقيم أحد لهم وزناً »[3] .

ومن هنا نكون قد وقفنا على تشكيلة الإيقاع عند صالح صبحي، وكيف يتنقل الإيقاع من الحرف الى اللفظة، الى العبارة، ثم الى الخطاب ككل متكامل متجانس، وبهذا يتحقق الإيقاع القرآني.

« وبعد فذلك فإن الإيقاع في القرآن ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات و الأوزان وتضبط بالحركات و السكنات، و لا النظم فيه يعتمد على الحشر و التطويل أو الزيادة و التكرار، أو الحذف أو النقصان، ولا الالفاظ تحشد حشدا و تلصق إلصاقا ويلتمس فيها الابهام والإغراب، بل الفاصلة طليقة من كل قيد ونظم بنجوة من كل صنعة والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد، ان هو الا اسلوب يؤدي غرضه كاملا غير منقوص، يلين أو يشتد، و يهدئ ويهيج، وينساب انسيابا كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفا كأنه صرصر عاتبة تبهر الأنفاس » [4] .

1- سورة إبراهيم، الآية: 19 /20 .

2- سورة الشعراء، الآية: 93 / 95 .

3- الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص 334.

4- المرجع نفسه : ص 335 .

إن الفرق بين الفاصلة القرآنية والأوزان الشعرية واضح و جلي، فالفاضلة واضحة غير مبهمة، متحررة تؤدي غرضها كاملا، فهي سر عظيم يريح نفس السامع أو القارئ، وعكس ذلك كلِّه الأوزان الشعرية .

ومن ضمن الجمال الفني نحسب الإيقاع جزءا مهما فيه وفي ذلك يقول صبحي صالح عن سيد قطب (1966م ت):« قد نحا سيد قطب في دراسته للقران منحى آخر، فلم تكن مفردات القرآن وحدها شاغلة له بموسيقاها، ولا تراكيب القرآن مستأثرة باهتمامه بتناسقها وترابطها، إنما كان نظره مركزا في الاداة المفضلة للتعبير في كتاب الله، ولقد وجدها في التصوير وراح يتحدث عنها بأسلوب شعري، يستهوي النفوس، ويهديها بحق إلى جمال القرآن » .[1]

ونجد أن الصالح يركز على الجمالية الفنية لأسلوب القرآن من خلال استقراء جوهر الإيقاع في مفرداته، والبحث عن كيفية تأثير الحركة الإيقاعية رابطا ذلك بالدلالة، حيث يسعى للكشف عن دلالة الإيقاع من خلال تآليفه،وفي هذا الصدد يقول: « والظاهر أن نظرة الصالح هذه تضعنا في الاتجاه الذي يمكننا من معرفة دقائق الفاظ القرآن، وبخاصة في عالم الموسيقى وجوهر الإيقاع، فتراه ينقب في الكلام باحثا عن الحركة و النغم والتآلف الحاصل في مفرداته، رابطا ذلك بالمضمون معقبا على ذلك بفاعلية الإيقاع فيها، وبتأثير الحركية الموسيقية فيها أيضا » [2] .

هذه نظرة صالح صبحي للإيقاع القرآني، فالفاصلة القرآنية لها دور كبير في إيصال الدلالة وطرح اثر موسيقى على نفسية المتلقي،وهنا تتحقق التشكيلة الإيقاعية الصحيحة .

ج–بكري شيخ أمين: خصص بكري شيخ أمين (ولد 13 ديسمبر 1930) الباب الخامس من كتابه (التعبير الفني في القرآن) لأسلوب القرآن، وفرد فيه بالحديث عن الإيقاع القرآني قائلا: « ولذلك فإن تشاكل أصوات هذا النص المقدس يمتد ليشمل تطابق الأصوات وتقابلها و تشابهها من حيث الصفة والمخرج، وتناسق حروف القرآن وكلماته فأمره عجيب ذلك أنك أذ استمعت إلى

1- الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، ط2، ص 368/367.

2- المرجع نفسه : ص 385 .

حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بتناسق رسم الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات و الآيات هذا حرف ينقر، وذاك يصفر، وهذا يخفى، وذاك يظهر، وهذا يهمس وذاك يجهر، من هنا يتجلى جمال لغة القرآن هذا التناسق الذي لا يمكن التعبير عنه وهذا النظام الصوتي وهذا الجمال اللغوي كان سورا منيعا لحفظ القرآن، بحيث لو داخله شيء من كلام الناس، لاعتلَّ مذاقه واختل نظامه »[1].

إن الصوت القرآني يحقق جمالا وتناسقا، من خلال إعطاء الحرف حقه و مستحقه، في الصفة و المخرج لكي يكون النظام القرآني متجانسا ومتكاملا .

« وفي الباب السادس ينهج أسلوبا إجرائيا به يكشف عن جمالية الإيقاع في الآيات القرآنية فينتخب جملة من النصوص القرآنية يحظى فيها الإيقاع بالحصة الوفيرة، ففي مقاطع اختارها من سورة الإسراء أنموذجا كاشفا عن طبيعة الحركة الموسيقية فيها » [2] . ويتمثل أنموذجه في الآية الكريمة من قوله تعالى: (

[3]) .

وهنا يبرز دور الإيقاع في الآيات، إذ يقول: « أما تلك النغمة الموسيقية، ففيها الهدوء أكثر مما فيها الضجة والعنفوان، ولقد تكونت من عناصر عدة من المفردات أولا ونظم هذه المفردات ثانيا،

1- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن،دار الشروق، القاهرة،1973م، ص 186/185 .

2- شارف مزاي، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي أنموذجا، ص 78 .

3- سورة الإسراء، الآية: 23 .

والمدود ثالثا، والحركات رابعا، ومن هذه الفواصل الإيقاعية المنسجمة: صغيرا – غفورا – تبذيرا – كفورا – ميسورا – محسورا – بعيدا »[1].

نلتمس جمالية الإيقاع في هذا النموذج،من خلال دقة تركيبة عناصر مفرداتها ونظمها،وحركاتها وعلاقة فواصلها الإيقاعية .

وبعد الحديث عن علاقة الفواصل بعضها ببعض يعقب أمين شيخ على حضور الإيقاع فيها بقوله: « تأمل في هذه الآيات من وقع مطرب، وانظر من قلبك أثر هذه الفواصل ومعارج عليها يظهرون – يتكئون – للمتقين – مهتدون – القرين – مشتركون – مبين – مقتدرون – مستقيم ... واللحن المنسجم من الموسيقى التصويرية والإيقاع الرتيب المنظم وكان ذلك الذي دعا الوليد أن يقول:(إن له لحلاوة)، وفي هذه الآيات تلك الأونوماتوبيا – واضحة في هذا التمأوج الراقص الرخي الناعم الصادح، وهذه الموسيقى غنى راقص وحياة باذخة، وأموال طافحة ونعيم لذيذ، وإلى جانب هذه المعاني تلك الغنات بالنونات والمدَّات في الحروف اللينة والانسياب في الأصوات كالانسياب في الحياة واللذات » .[2]

و يضيف شارف مزاري معقبا على بكري شيخ أمين « بذلك يكون قد وسع نظرته للإيقاع القرآني حين قدم نماذج حية ترتبط بالعمق الدلالي وبالشكل المحمول عليه والمجسد في الإيقاع وسلطته »[3].

هنا تبرز معالم الإيقاع الحقيقي، فتصويره منظم، ولحنه منسجم، ووقعه على النفوس مريح، وهذه النماذج التى قدمها شيخ بكري أمين لأكبر دليل على الإيقاع القرآني وجماليته .

د–شكري عياد: ويرى شكري محمد عياد أن الوزن يمثل الوجه المادي أو الفيزيائي للإيقاع، وعرفه على أنه: « حركة منتظمة، والتئام أجزاء الحركة في مجموعات متساوية ومتشابهة في تكوينها، شرط لهذا النظام، وتميز الأجزاء عن بعض في كل مجموعة شرط آخر »[1].

1- بكري شيخ أمين التعبير الفني للقرآن، ص 287 .

2- المرجع نفسه ص 280 .

3- شارف مزاي، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي أنموذجا، ص 79 .

فالإيقاع عنده نظام دقيق لأجزاء ملتئمة ومتلاحمة، تكون مجموعاتها يشابه بعضها بعضا لتشكّلَ كلاً متكاملا .

يربط شكري عياد الإيقاع بالإحساس وبالمعنى،وفي هذا الصدد يقول: « والفيصل عنده في وجود الإيقاع أو عدمه هو إحساسنا به، على أن هذا الاحساس كثيرا ما يغمض إذا لم يسنده أساس موضوعي، أو اتخذ أساسا موضوعيا غير سليم، ومن هنا نراه يتعرض لنظرية ريتشاردز في الإيقاع، ويعدها نظرية عامة في الشكل الأدبي، ذات عمق وشمول فيوافقه على تجاوز معناه الفيزيائي إلى المعنى النفسي، مبينا أن القيمة الحقيقية للإيقاع و ذلك النوع منهم سمّى بالوزن، لا تكمن في العلاقات الصوتية نفسها، بل في التهيئ النفسي الذي يحدثه الأثر الأدبي الجيد، فالإيقاع ليس شيئا فيزيائيا، وليس شيئا في طبيعة الأصوات نفسها، إنما هو في الواقع ايقاع النشاط النفسي الذي من خلاله ندرك لا صوت الكلمات فقط، بل ما فيها من معنى وشعور، لذا فإن تأثير الصوت يتحدد بالظروف التي يندرج فيها أكثر بكثير مما يتحدد بالصوت نفسه، ولا بد لأي تحليل أن يتجنب الفصل بين الصوت وهذه الظروف قد يكون للإيقاع لا لصوتي بمفرده تأثير ولكن هذا التأثير لا يسمى فنيا، أو غير فني، حتى يلتقي الإيقاع مع المعنى »[2] .

الإيقاع هو ما وقع من نشاط على النفس، وهو صوت الكلمات و تأثيرها وشعورها،كي تلتقي جميعا في ترابط الإيقاع بالمعنى .

ونلاحظ قيمة الإيقاع عند شكري عياد مما ورد في كتابه موسيقى الشعر العربي: « إن القيمة الحقيقية للإيقاع لم تكن في العلاقات الصوتية نفسها، بل التهيء النفسي الذي يحدث الأثر الأدبي الجيد، من خلال شبكة عظيمة من العادات والمشاعر والدوافع، فالإيقاع يبدأ من الكلمات الأولى ويستمر في النمو »[3].

1- شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات،مصر،1968م .ص 53 .

2- ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، دار القلم العربي، ص 39 .

3- عبد العزيز الفاتح، إيقاع اللغة ولغة الإيقاع، مجلة الفيصل، العدد، 105 السعودية، 1985م، ص 42 .

عبر شكري عن قيمة الإيقاع، وكيف أنه يبدأ صغيرا من الكلمات الأولى لينمو و يتطور، فيحدث تهيأً نفسياً، والذي بدوره يُشكِّل أثراً ادبياً من خلال مشاعر النفس و محفزاتها .

إذن فقد حدد الإيقاع في ثلاثة عناصر هي: « أولا: المقاطع التي تستغرق كما من الزمن في أثناء النطق بها، وثانيا: التنغيم الذي يساعد على إظهار حالات التكلم،والإخبار والاستفهام والتعجب وآخرها النبر الذي يساعد على إبراز ما يعتبر المتكلم أنه الجزء الأهم في الكلمة أو الجملة »[1].

ويضيف قائلا: « وتختلف هذه العناصر في درجة بروزها من لغة إلى أخرى ولا تكتمل صور التشكيل الصوتي الإيقاعي إلا إذا ارتبط بالإيقاع النفسي، ويتمثل بذلك النشاط النفسي الذي من خلاله ندرك ما للكلمات من معاني ومشاعر » [2].

يرتبط الإيقاع بالنفس في نشاطها الداخلي و الخارجي، الشعوري و اللاشعوري، وبذلك يصل المعنى إلى المتلقي .

في كل آية من آيات القرآن الكريم، وفي كل سورة من سوره، وفي كل مقطع منه أسلوب إيقاعي متميز، غني بالموسيقى مملوء بالنغم، فالقرآن متنوع في موسيقاه تنوع الوجود في أنغامه وألحأنه فكل لفظة منه تنفرد بحدها الموسيقي الخاص: « الموسيقى الداخلية تنبعث في القرآن الكريم حتى اللفظة المنفردة في كل آية من آياته تكاد تستقل بجرسها ونعمها بتصوير لوحة كاملة فيها اللون راهيا أو شاحبا »[3] .

فمنذ أن تلقى الناس أولى كلمات القرآن أحسوا بذلك الجمال الصوتي الذي لم يعهدوه في غيره من الكلام، ووجدوا فيه إيقاعا خاصا سلب عقولهم، وقد أفرد له العلماء حظا وافر من العناية والدراسة: « إذا قرأت القرآن قراءة سليمة وتلوته تلاوة صحيحة أدركت أنه يمتاز بأسلوب إيقاعي

1- المرجع نفسه، ص 36 .

2- المرجع السابق، ص 40.

3- الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص 334

ينبعث من نعم جميل ساحر يبهر الألباب ويسرق الأسماع ويسيل الدموع من العيون ويستولي على الأحاسيس والمشاعر » [1] .

وما يزيد الأسلوب القرآني روعة ذلك الانسجام التام بين الإيقاع في الآيات، والموقف الذي تعبر عنه، فهو إيقاع فيه راحة وسكون للنفوس الآمنة والمؤمنة بربها لقوله تعالى:

(

،كما يصور [2]

لنا أيضا رهبة الموقف للكافرين بقوله تعالى:(

»([3].

وقد أغنى الله العرب بالفواصل عن ولعهم بالقوافي، فالقرآن غني بالفواصل وتعتبر أساس في تكوين الإيقاع فيه وكذلك في إبراز معناها: « إن الفاصلة في القرآن ركن أساسي في تكوين بنيته الإيقاعية، فهي في ذلك تشبه القافية في الشعر لها دورها الإيقاعي في حماية الآيات، ولكن وظيفتها ليست لفظية فحسب، بل لها دور في إبراز المعنى » [4].

1- ابن شيخ عباس، الإعجاز التأثيري النفسي للقرآن الكريم، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات العدد 6، 2009م، ص 184.

2- سورة الفجر، الآية: 28/27 .

3- سورة الفجر، الآية: 24/23 .

4- المرجع نفسه، ص : 184 .

فاللغة العربية التي نزل بها القرآن كما أن العرب استعملوها موسيقيا وذلك واضح وجلي فيها حتى و إن لم يفهم ما وراء تلك اللغة: « لقد كانت موسيقى القرآن ونظمه روعة عند كل سامع، حتى من لم يفهم العربية، فإن لكلماته ونظمه ومده وغنه وغاية فواصله ووقفه ما يسترعى من لم يفهم العربية » [1] .

فإيقاع القرآن الكريم له مبلغ التأثير على النفس، وهذا ما جعل القرآن موظفا له في شتى موضوعاته، حتى أثناء الأحاديث عن الجوانب العلمية الحديث عن خلق الإنسان ومظاهر الكون من رياح و أمطار وغيرها، ومن ثم فالإيقاع دائم الحضور إلى جانب أنواع الإعجاز المختلفة: « سيقت أسجاع القرآن أو فواصله وبررت تلك الخاصة الصوتية كظاهرة من ظواهر الإعجاز في كتاب الله، والتي من أجلها سمي قرآنا دون غيره من الكلام، لأنه مقروء ولا يصل إلى منتهاه من الروعة والتأثير إلا بتلاوته وسماعه » [2] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السمع نافذة على النفس وحافز الانفعال فحث على جمال الأداء وذلك بمراعاة دقائق النسق القرآني، من إعطاء الحروف حقها في المخرج، واحترام حركات الألفاظ ومواضع الوقف وغيرها من القوانين الأدائية التي يعني بها علم التجويد، يقول الله تعالى: ﴿ ﴾ [3] .

وهكذا نلاحظ أن الإيقاع من أهم الظواهر الفنية في الأسلوب القرآني في تنوعه وتشكيلاته،وفي كمياته وكيفياته ودرجاته، حسب ما يقتضيه المعنى المراد، ويسعى إلى تجلية العلاقة التي تربط الإيقاع بالمعنى وبالسياق في النص القرآني، بغية الوقوف على مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، ألا وهو " الإعجاز الايقاعي".

1- المرجع نفسه، ص: 185.

2- عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، ص177.

3- سورة المزمل، الآية: 04 .

وعليه فقد تبين أنّ الإيقاع في القرآن الكريم هو ظاهرة فنية بارزة في التعبير القرآني. وأكّد على أنّ له أثر فعّال في بيان المعنى وتجليته؛ بحيث يُسهِم في استظهار الدلالة، وتقوية معاني الألفاظ، وإعطائها القدرة على تحريك النفوس والتأثير فيها. فالإيقاع القرآني لا نجده على وتيرة واحدة، بل إنّ المتأمِّل فيه يجده مجسّدا على ضروب من التشكيلات المتنوعة، ولّدتها طبيعة النص القرآني في جماليته الإعجازية.

ذلك الإيقاع الذي عنى به القرآن الكريم عناية كبيرة، لِما له من أثر في استمالة النفس في تقبّل المفاهيم والأغراض التي جاء بها، فكان أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان، وهو بهذا إيقاع قرآني مميّز في رصف أصواته، وترتيب كلماته، وبديع نظمه، وذاك سرّ من أسرار إعجازه، وجمال جرسه .

الفصل الثالث : الإعجاز الإيقاعي في سورة الشمس

أولا : مفهوم الفاصلة القرآنية وأهميتها

ثانيا : التجليات الإيقاعية للفاصلة القرآنية في سورة الشمس

التعريف بالسورة :

« سمّيت هذه السّورة في المصاحف وفي معظم كتب التّفسير «سورة الشّمس» بدون واوٍ، وكذلك عنونها التّرمذيّ في جامعه بدون واوٍ في نسخٍ صحيحةٍ من «جامع التّرمذيّ» ومن «عارضة الأحوذيّ» لابن العربيّ.وعنونها البخاريّ سورة (والشّمس وضحاها) بحكاية لفظ الآية، وكذلك سمّيت في بعض التّفاسير» [1].

هذه بعض الأقوال التي جمعت في التفاسير بخصوص تسمية السورة، وكذا ما ورد عند بعض رواة الحديث .

« هي سورة قرآنية موجودة في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، في الحزب الستين، وتأتي في المرتبة الواحد و التسعين في ترتيب المصحف، بعد سورة البلد، وقبل سورة الليل، عدد آياتها خمسة عشرة آية، وعدها أهل مكة ست عشرة آية، وعدد حروفها مائتان وتسع و أربعون حرفا، وهي سورة مكية باتفاق، معدودة السادسة والعشرون في النزول، نزلت بعد سورة القَدْر، وقبل سورة البروج » [2].

وهذا ما ورد عن ترتيبها في المصحف وعدد آياتها .

« أُبتدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا، فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع، وبالقمر إذا أعقبها وهو طالع، ثم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه، وبالليل إذا غطى الكائنات بظلامه، ثم بالقادر الذي أحكم بناء السماء بلا عمد، وبالأرض الذي بسطها على ماء جمد، وبالنفس البشرية التي كملها الله، وزينها بالفضائل والكمالات، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد، وفسق وفجر » [3] .

ثم ذكر الله تعالى قصة ثمود قوم صالح حين كذبوا رسولهم، وطغوا وبغوا في الأرض وعقروا الناقة التي خلقها الله تعالى من صخر أصم معجزة لرسوله صالح عليه السلام، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع

1- الطاهر محمد بن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ص 187 .

2- ينظر: الطاهر محمد بن عاشور، التحرير و التنوير، ج31، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ص 365 .

3- بلعيد محاسن، الرقم سبعه، أثره و إعجازه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص 63 .

الذي بقى عبرة لمن يعتبر، وهو نموذج لكل كافر فاجر، مكذب لرسل الله قال تعالى : (

) [1] .

ويتحدث الصابوني عن خاتمة السورة قائلاً : « وقد خُتمت السورة الكريمة بأنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكهم وتدميرهم، لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولهذا قال سبحانه

) [2] .»

هذه جملة الكلام عن ما ورد في بعض التفاسير بخصوص سورة الشمس، وما أنزل الله فيها من حكم لعباده .

أولا : مفهوم الفاصلة القرآنية وأهميتها

صور الإعجاز في القرآن لا تحصى، ومنها إعجازه اللغوي، ومن مظاهر الإعجاز اللغوي استعماله للفواصل التي أغنى الله بها العرب عن ولعهم بالقوافي والأسجاع وعشقهم لموسيقى الألفاظ، فوجدوا خيراً من ذلك في القرآن الكريم، فآمنوا به، وقد درستُ الفواصل وسط أخواتها من الظواهر الإيقاعية المشابهة لها في نهايات الجمل العربية كالقافية والسجع والجناس، وذلك ليظهر لنا فضل القرآن على غيره من الكلام، مع أنه استعمل اللغة نفسها التي استعملها العرب بكل صورها ومظاهرها تقريباً، فيظهر لنا أنهم تحدثوا عن الفاصلة ولكن لم يربطوها بالإيقاع .

1- سورة الشمس، الآية : 15/10 .

2- الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ص 564 /565 .

أ–الفاصلة لغة :

ورد مصطلح الفاصلة في لسان العرب لابن منظور يحمل مجموعة من الدلالات، ودليل ذلك قوله : « الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، والفصل : القضاء بين الحق والباطل، وعقد مفصل، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة »[1] .

كما يعرّف صاحب المنجد الفاصلة قائلا: « من مادة (فَصَلَ) وجمعها فواصل، وهي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد، والفصل الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته »[2].

ب–الفاصلة اصطلاحاً :

استعملت الفاصلة اصطلاحاً في عدد من علوم العربية : في النحو، وفي العروض، وفي علامات الترقيم، وما يتناسب مع البحث هو استعمالها في علوم القرآن، وقد تعددت تعريفات العلماء لها قديماً وحديثاً، وسنذكر أهمها :

الرماني (384هـ ت): « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني »3 .

الزركشي (794 هـ ت) : « هي كلمة آخر المعنى »[4] .

فضل عباس (1432 هـ ت) : « يقصد بالفاصلة ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة »[5].

مناع القطان (1420 هـ ت) :« ونعني بالفاصلة الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية، وقد لا يكون، تقع الفاصلة عند نهاية المنقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عنده »[1].

1- ابن منظور، لسان العرب ، ج11، دار صادر، وانظر : الإتقان للسيوطي ج1 ص 220، نسخة البابي الحلبي ص 189/188.

2- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، مادة فصل، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1986م، ط28، ص 585 .

3- الرماني الخطابي الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح : محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط03، 1976م ص 97.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1957م، ص 53 .

5- فضل عباس، وسناء عباس إعجاز القرآن الكريم، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 1991م، ط 1، ص 225.

يقول السامرائي (1933 م) : « أن الفاصلة القرآنية لايراد مراعاة الحروف وإنما يراد المعنى مثل ذلك، ويلتقي الحرف المشابهة اللفظية في المعنى، وأحياناً لا يراعي القرآن الفاصلة، بل قد تأتي مغايرة عن غيرها، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى » [2].

1- تقسيمات الفواصل :

أ- تقسيم الفواصل إلى متماثل ومتقارب :

1-المتماثل: « ما تماثلت حروف المقاطع فهو المتماثل، كقوله تعالى:(

وهذا يكون في السجع .

2- المتقارب: وهو ما تقاربت حروف المقاطع ولم تتماثل » [4] . كقوله تعالى:(

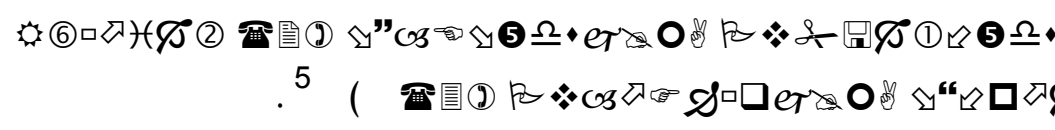

ب- تقسيم الفواصل إلى متوازن ومتواز ومطرف :

1- المتوازن: « أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف السجع، كقوله تعالى:(

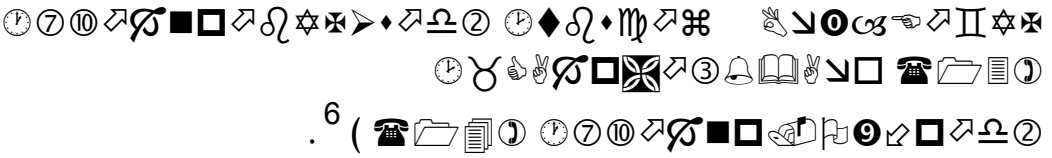

مرفوعة وموضوعة آخرها عين وتاء مربوطة، وزنهما مفعولة .

1- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1990 م، ط1، ص 136.

2- الفاصلة القرآنية، فاضل السامرائي، ، دار عمار للنشر، 1999م، ط1، ص 130.

3- سورة التكوير، الآية : 18/14 .

4- أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة،دار الكتب الوطنية،ليبيا،2003م،ص 154 .

5- سورة الفاتحة، الآية : 3/2 .

6- سورة الغاشية، الآية : 14/13.

2- المتوازي: أن يراعى في مقاطع الكلام الوزنة فقط دون السجعة كما في قوله تعالى: (

فمصفوفة ومبثوثة على وزن مفعولة.[1]

3- المطرف: أن يتفقا بحروف السجع دون الوزن، كما في قوله تعالى: (

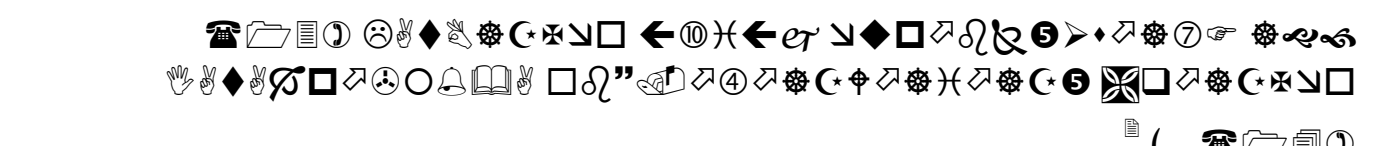

.[2]

ملاحظة :

1- أفضل السَّجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيها بالشعر فإن أبياته متساوية، كقوله تعالى:(

.[3]

2- ثم يأتي بعده السَّجع الذي طالت قرينته الثانية أو الثالثة كقوله تعالى :(

.

2- ضابط الفواصل :

لمعرفة ذلك طريقان توقيفي وقياسي :

1- سورة الغاشية، الآية : 15/14.

2- سورة نوح، الآية : 14/13 .

3- سورة الواقعة، الآية : 32/30 .

4- سورة العصر .

5- أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ص 155 .

إن معرفة ضابط الفواصل القرآنية يرتكز على طريقتين أساسيتين هما :

أ- التوقيفي :

« سئلت أم سلمة عن قراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت : كان يقطع قراءته آية آية، أي: يقف على كل آية ليعلم رؤوس الآيات، فما وقف عليه صلّى الله عليه وسلّم دائما تحققت أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققتا أنه غير فاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى، فيحتمل أحد لوجهين السابقين » [1].

ب- القياسي:

« وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب، ولا محذور في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته محل فصل ووصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كلُّهِ جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه، فأقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في النظم، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف فليس بعيب في الفاصلة بالحركة والإشباع » [2] .

3- اختلاف الفاصلتين والمحدث عنه واحد :

تختلف الفواصل تارة وتتفق تارة أخرى وذلك باختلاف أو اتفاق المحدث عنه، وقد تختلف فاصلتين والمحدث عنه واحد كما يلي :

أ- المثال الأوَّل : (﴿ ﴾ [3] .

(﴿ ﴾ [4] .

1- المرجع نفسه، ص 156 .

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص 99/98 .

3- سورة إبراهيم، الآية : 34 .

4- سورة النحل، الآية : 18 .

« المعطي للنعم هو الله والآخذ هو الإنسان: فالإنسان له وصفان: ظلوم كفار ويقابلها صفتان لله تعالى غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي. لكن ما الحكمة بتخصيص آية النحل بذكر المنعم، وآية إبراهيم بذكر المنعم عليه ؟ .

إذا تتبعنا سياق الآيات التي قبل هاتين الآيتين، نجد أن الآيات التي قبل آية إبراهيم تتكلم عن صفات الإنسان، والآيات التي قبل آية النحل تتكلم عن صفات الله تعالى، ولهذا اختلفت الفاصلتان والمتحدث عنه واحد .

ب- المثال الثاني: قوله تعالى: (② ■ ➢ ❖ ❹ ❾ ☹) .

(② ■ ➢ ❖ ❹ ❾ ☹ ❺ ➢ ❶ ❷ ❻ ☎) [1] .

(② ■ ➢ ❖ ❹ ❾ ☹ ❶ ❷ ❻ ⑥ ☎) [2] .

حكمة الفاصلة الأولى أن قبلها :

(✧ ➢ ② ▪ ❖ ❶ ✠) ❖ ❶ ❷ ❻ ❺ ➢ ➢ ❹ ❸ ☎) [3] . فناسب الختام بفاصلة البعث بقوله تعالى : (❹ ❺ ➢ ❻ ☎) [4] .

لأن قبله وصفهم بإنكار البعث، وأما الأخرى فالختام بها مناسب لأنه لا يضيع عملا صالحا ولا

1- سورة الجاثية، الآية : 15 .

2- سورة فصلت، الآية : 46 .

3- سورة الجاثية، الآية : 14 .

4- سورة الجاثية، الآية : 15 .

يزيد على من عمل شيئا أية سيئات » [1] .

ج- ونظيره قوله تعالى : (، ومرة بقوله: ( )

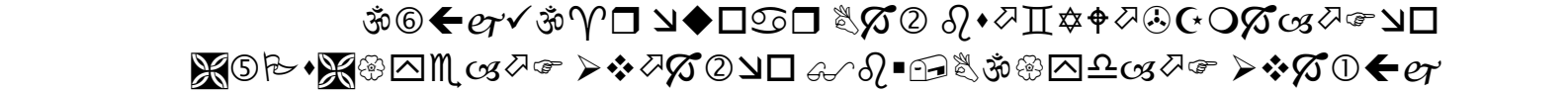

« لأن الأولى نزلت في اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه، والثانية نزلت في الكفار ولم يكن لهم كتاب وكان ضلالهم أشد وغير ذلك كثير في القرآن » [4] .

4- اتفاق الفاصلتين والموضوع مختلف :

كقوله تعالى: (

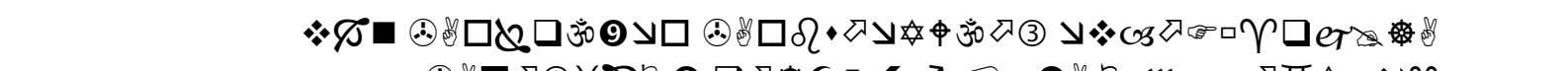

« أي: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، وهي العبادة. أما الثانية: فتدعو إلى ترك الشرك واجتنابه » [6] .

وهذا كقوله تعالى: (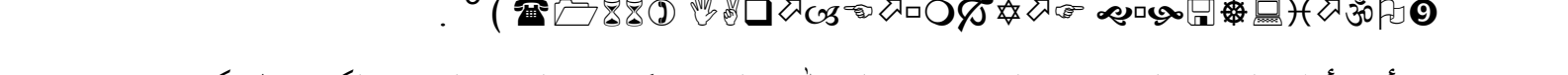

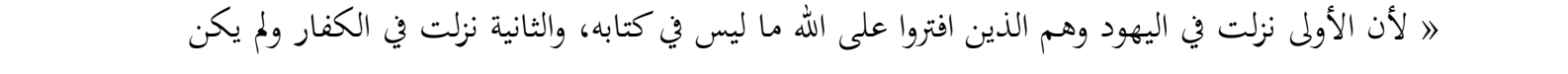

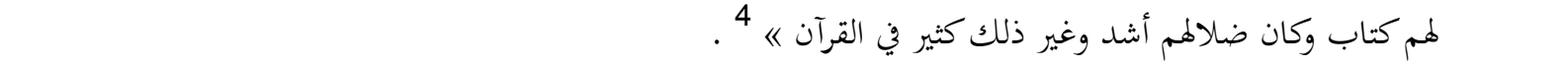

1- أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ص 156 .

2- سورة النساء، الآية : 46 .

3- سورة النساء، الآية : 166 .

4 - أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ص 157 .

5- سورة الذاريات،الآية : 51/50 .

6- المرجع السابق، ص157 .

5- أهمية الفاصلة القرآنية :

للفاصلة القرآنية أهمية بالغة، فهي مكمن السر البلاغي، ومبلغ تأدية المعنى وإراحة نفس المتلقي، ونستشهد لهذه الفكرة بما ورد لابن سنان في كتابه سر الفصاحة حين قال : « إن الناظر إلى الفواصل في الآيات القرآنية يجد لها دوراً واضحاً في بلاغتها لأنها محك القدرة، كما أن القافية -ولله عز وجل المثل الأعلى- محك قدرة الشاعر؛ فبعض الشعراء يُضطرون إلى القافية أحياناً لإكمال البيت، وإن كان المعنى المراد منها بعيداً قد يضنينا في البحث عنه » [2] .

« وليس في فواصل القرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لإكمال الآية إكمالاً معيناً؛ بل لكل فاصلة سرها البلاغي الجلي أو الخفي؛ لأنه لا يمكن استبدال كلمة في القرآن الكريم بكلمة أخرى أياً كان موقعها في وسط الآيات أو أولها وخواتيمها؛ لأنها لا تقوم مقامها، ولا تؤدي معناها، إضافة إلى أنها لا تتوافق مع نظامه الصوتي وجماله اللغوي » [3] .

والجدير بالذكر في القرآن كثرة ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك،ونلفي ههنا مقولة لسيبويه مفادها : « إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع » [4] .

أما عن وظيفة الفاصلة فنمثل لها بقول عائشة بنت الشاطئ من خلال كتابها الإعجاز البياني للقرآن : « إنّ الفاصلة القرآنية لها وظيفتان : الوظيفة الرئيسية معنوية يحتملها السياق، ووظيفة أخرى

1- سورة النحل، الآية : 36 .

1- ابن سنان، سر الفصاحة، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 1982، ط 1 ، ص 20 .

3- الجرجاني عبد القادر، دلائل الإعجاز، تح: محمد شاكر، السعودية ، 1992م، ط3 ،ص 106 .

4- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م، ج4، ص 185.

تتصل بجمال الإيقاع، ولا يجوز القول أن الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآيات الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي »[1].

تأسيسا على ما قيل، تتخذ الفاصلة القرآنية وظيفتين أساسيتين، الأولى ترتبط بالسياق، والثانية بالإيقاع .

« وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، و هي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام »[2] .

ومنه نلاحظ أن موقع الفاصلة القرآنية يريح المخاطب ويحسن الكلام ويوضحه ويبينه ويؤدي معناه .

وقد حاول صاحب كتاب «التصوير الفني في القرآن » أن يستخرج نظاما للفواصل القرآنية تسير عليه من خلال ارتباطها بالمعنى المراد، ومراعاتها للنغمة الإيقاعية في السورة، فرأى أن: « الفواصل تقصر غالبا في السور القصار، وتتوسط أو تطول في السور المتوسطة أو الطوال، ويشتد التماثل والتشابه بينها في السور القصار، ويقل غالبا في السور الطويلة » [3].

ولكنه سرعان ما أدرك صعوبة ذلك فقال مستدركا على نفسه: « وقد تبين لنا في بعض المواضع سر هذا التغير، وخفي علينا السر في مواضع أخرى، فلم نرد أن نتمحل له لنثبت أنه ظاهرة عامة كالتصوير والتجسيم والإيقاع »[4].

تتميز الفواصل القرآنية بأثر موسيقي يقوي معانيها، وهذا الأثر الموسيقي ينتج عن المستوى الصوتي ويتسم ذلك من خلال قول الدكتور سلام محمد زغلول وهو يعالج قضية الجمال الصوتي في القرآن الكريم رابطا ذلك بالإيقاع فيقول : « لقد أكسبت الفواصل النص القرآني نغما موسيقيا مؤثرا يزيد في إبراز المعاني ويقويها. لهذا كان للقرآن الكريم هذا الجمال الصوتي المؤثر، وهو ما توصل إليه علماء الجمال اليوم

1- ينظر عائشة بنت الشاطيء، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، ص277 /278

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، -دار التراث العربي القاهرة ص 54 .

3- سيّد قطب،: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، 1988، ط 10، ص107.

4- المرجع نفسه، ص 108.

في الإحساس الصوتي بالجمال، لأن الجمال الصوتي يعتمد على انسجام الأنغام في تردد رتيب لا تمله الأذان، غير نشاز، فتنفر منه الآذان، وتتأذى به، متسق مع ما ينبعث في النفس من هزات داخلية، فيتم التوافق بين النغم الخارجي والداخلي »[1].

ويقول راغب عبد السلام في دور الفاصلة القرآنية ووظيفتها :« والفاصلة في القرآن، كالقافية في الشعر، لها دورها الإيقاعي في نهاية كل آية، ولكنّ وظيفتها ليست إيقاعية فنية فحسب، وإنما هي تزيد في وضوح المعنى وتقريره، كما أنها تتلاءم مع السياق الواردة فيه، وتقوم بإحكام المعنى في نهاية السياق لتقوي المعنى وترسخه من خلال إيقاعها الخاص المتميز» [2] .

فتبرز أهمية الفاصلة كما نرى ذلك عند الزركشي في دور تحسين الكلام، و ايصال الخطاب لذهن السامع دون كلفة و عناء، و هذا ما يميز القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر .

و يمكننا إجمال أهمية الفاصلة في ما يلي :

1- « دورها في كشف جماليات الأداء الصوتي الذي تتميز به تلاوة القرآن الكريم »[3].

2- « الفاصلة بقيمتها الإيقاعية و الموسيقية تلعب دور المفتاح في اللحن الموسيقي و لا وجه للمشابهة هنا بين القرآن و الألحان الموسيقية إلا لتقريب المثال، فالقرآن نرى فيه براعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في سورة واحدة بيسر وسهولة » [4].

3- « يحتاج لمعرفة الفواصل لصحة الصلاة فقد قال الفقهاء فمن لم يحفظ الفاتحة يأتي بدلها بسبع آيات فمن لم يكن عالما بالفواصل لا يمكنه أن يأتي بما يصحح صلاته »[5].

4- « يحتاج لمعرفة الفواصل للحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات أو تعلمها.

---

1 سلام محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي،مكتبة الشباب،مصر،ط1، ص 244.

2- عبد السلام راغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، كلية العلوم الإنسانية، حلب، سوريا،(د ت)، ص 14 .

3- محمد حسين النقيب، الفاصلة في السياق القرآني، سورة مريم أنموذجا، اليمن، ص 5 .

4 -محمد ديب حمود الحاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية،رسالةدكتوراه،جامعة صنعاء،اليمن، 2002م، ص 86 .

5- محمد العف، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها،الجامعة الاسلامية، فلسطين، 2009م، ص 40

5-تتضمن إشارات من حكم الله البالغة وكثيرا ما تقرن و تربط العبد بأسماء ربه تبارك وتعالى وصفاته .(حكيم عليم) (سميع بصير)و هكذا .

6- الفاصلة وجه من وجوه الإعجاز التي يقع بها أحكام بناء الآية شكلا ومضمونا و مبنى ومعنى »[1].

ثانيا : التجليات الإيقاعية للفاصلة القرآنية في سورة الشمس .

استثمر القرآن الكريم اللغة العربية بما فيها من طاقات فنية في تشكيل بنية إيقاعية منظمة وهادفة في أداء معانيه الدينية، وتعد هذه الإيقاعية الموسيقية أكبر الظواهر الفنية فيه، يحس بها كل من يقرؤه، كما يدرك توزيع هذه الإيقاعية بين الشدة واللين، والسرعة والبطء، والطول والقصر، وقد أكسبت هذه الإيقاعية النص القرآني خصوصية دون سائر النصوص الأدبية الأخرى، فأصبح طيّعا للترتيل، « متلواً لا يُمَلُّ على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجُّه الآذان، وغضّاً لا يَخْلَقُ من كثرة الترداد »[2] .

يتضح من خلال هذا أن لغة القرآن الكريم لغة إيقاعية فنية، يستشعرها القارئ أثناء تلاوته لكلام الله عز وجل .

فاللغة العربية لهذه الاعتبارات وغيرها، كما يقول العقاد: « لغة إنسانية ناطقة، يستخدم فيها جهاز النطق الحي أحسن استخدام، يهدي إليه الافتتان في الإيقاع الموسيقي، وليس هنا أداة صوتية ناقصة، تحس بها الأبجدية العربية »[3] .

الإيقاع باعتباره نظاما لغويا هادفا، يستخدم اللغة العربية أداة يحرك بها نفس المتلقي، معتمدا على المستوى الصوتي بالدرجة الأولى، موظفا مخارج الحروف و صفاتها في نقل المعنى في أحسن صوره إلى النفس الإنسانية .

« يعتمد الإيقاع في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولد من "تناسق الحروف" مخرجًا، وصفةً، وحركةً، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع، والتوازن بين الجمل

1- محمد حسين النقيب، الفاصلة في السياق القرآني، سورة مريم أنموذجا، اليمن، ص 5.

2- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1976م ص91/90 .

3- عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة، المطبعة العصرية، بيروت،لبنان، 2012م ص 8.

والعبارات...أما الإيقاع الداخلي فهو حركة موقعة أو منتظمة في بناء السورة كلها، تحكم نسيجها، وتميز معالمها، وصفاتها عن بقية السور الأخرى، وهذه الحركة الداخلية لا يتم إدراكها من خلال حاسة السمع، لأنها حركة غير صوتية، وإنما تدرك من خلال فهم متكامل لنمو الحركة الإيقاعية، داخل البناء الكلي للسورة الواحدة » [1].

من هنا نرى كيف أن الإيقاع يعتمد على مستويين : أحدهما خارجي يرتكز على المستوى الصوتي، والآخر داخلي يرتكز على المستوى الدلالي، وكل هذا يتم في البناء المتكامل للسورة القرآنية .

« وتتكون هذه الإيقاعية من مجموعة عناصر ملتحمةٍ فيما بينها، مشكلةً نسيجاً موحداً يصعب الفصل بين أجزائه إلا بقصد تسهيل دراستها لأنها بناءٌ متكاملٌ معتمدٌ على أنظمةٍ ناميةٍ ومتعاونةٍ تشكل مجتمعةً البنيةَ الإيقاعيةَ للسورة الواحدة في القرآن الكريم، ثم البنية الإيقاعية العامة للنص القرآني كله المشكلة من تناسق الإيقاع في سوره، وتناسق هذه الإيقاعية ونسقها العام المتسق مع معناه العام أيضا. وتشبه هذه البنية نظام الكون في بنائه وتناسقه، إذ إنه يرجع إلى أجزاء مكونة له، ولكن هذه الأجزاء محكومة بنظام العلاقات المتناسقة التي تعطي هذا البناء شكله الإيقاعي المكتمل، كالوردة الجميلة . مثلاً التي ترجع إلى مجموعة من الأنظمة المكونة لها، والتي أكسبتها شكلا مكتملا يحدث الأثر الجمالي في النفس الإنسانية في النهاية » [2] .

ومنه فإن الوحدة الإيقاعية نسق مترابط العناصر، متكامل الأجزاء، يؤدي أثرا جماليا في نفس الإنسان .

« فالإيقاعية في أسلوب القرآن تبدأ من إقامة الروابط والعلاقات بين مخارج الحروف وصفاتها لإكسابها خاصية السهولة والعذوبة، ثم هناك أيضا علاقة أخرى تتضافر والعلاقات المتقدمة تكمن في "حركات الحروف" التي لها قيمة فنية في إحكام الروابط الإيقاعية بين الحروف لتوظيفها في أداء المعنى،

1- عبد السلام راغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، كلية العلوم الإنسانية حلب، سوريا، ص 3.

2- المرجع نفسه، ص 2 .

فحركات الحروف إضافة إلى صفاتها ومخارجها، كلها علاقات أو روابط ملحوظة في بناء الكلمة القرآنية، وفي بناء الإيقاع المؤثر لها » [1].

إن مخارج الحروف و صفاتها وحركاتها باعتبارها جزءاً هاماً في الإيقاع، عنصر أساسي في تأدية المعنى، من خلال ضبط العلاقة بين المخرج و الصفة و الحركة .

« لهذا لا نجد في العربية كلمة متطابقة في مخارجها وصفاتها وحركاتها، وهذا التنويع في بناء الحروف يحقق وحدة صوتية متناغمة ومنسجمة، يكسب الكلمة قيمة جمالية من خلال جرسها المميز.ومن الانسجام والتناسق بين الحروف مخرجا وصفة وحركة، تتكون إيقاعية الكلمة وموسيقاها وهذه الإيقاعية مرتبطة بأداء المعنى، ولا تنفصل عنه وقد بلغ القرآن حد الإعجاز في الإيقاع الموسيقي لكلماته الدالة على المعنى الديني، وذلك في نسبه الموزعة على الأنساق التعبيرية، وفي تناسبه مع الحالات والمعاني والمواقف وفي نظامه البديع المعتمد على نظام العلاقات، ومعاودة هذه الإيقاعية وتكرارها لأداء المعاني الدينية » [2].

يقول الرافعي عن أصوات الحروف وحسن تنظيمها وتوزيعها في التعبير القرآني: « إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف، حتى يمازج بعضها بعضا ويتألف منها شيء مع شيء فتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحن الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا على نسب معلومة، ترجع إلى درجات الصوت، ومخارجه وأبعاده »[3] .

فنظام الحروف العربية نظام خاص ومتميز عن غيره من الحروف في اللغات الأخرى، وبالأخص توزيعه في القرآن الكريم، فقد جاء على تراتبية معينة صوتيا لتشكل نغما موسيقيا مثيرا .

وفي هذا الصدد يعتبر محسن علي عطية : « اللغة ذات طبيعة صوتية، وإن الأصوات فيها هي الأصل، ولكل رمز صوتي، وظيفته في الكلمة، ولكل كلمة وظيفتها في الجملة أو العبارة والالتزام بالنسق الصوتي المتعارف عليه واجب في البيئة اللغوية الواحدة، والخروج عنه يفقد الرمز قدرته على النقل أو الإيحاء، والنسق اللغوي يتضمن ترتيب الأصوات داخل الكلمة، وترتيب الكلمات داخل الجمل، وتشترك

1- المرجع نفسه، ص 7.

2- المرجع نفسه، ص ن .

3- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، الكتاب العربي، بيروت1973 م، ط 9 ص214/213 .

جميع اللغات في هذه السمة إذ بدأت اللغات بأصوات مسموعة، ثم دونت هذه الأصوات التي تعبر عن مدلولات، فالأصوات تعد مادة اللغة الإنسانية ولا مدلول لهذه الأصوات إن لم تنظم في وحدات فكل واحدة تحمل منها معنى معيناً، فالحرف لايدل على معنى دون أن يكون في وحدة، ولايمكن التعرف على دلالة اللفظة ما لم ترتب الألفاظ وتلفظ من خلال جهاز النطق، وتنقل إلى الأذن فدماغ السامع لمعرفة المقصود منها، أما الصورة المكتوبة للغة فقد جاءت متأخرة عن الصوت بعد أن تطورت الحياة وتعقدت وأصبحت بالإنسان حاجه إلى استخدام اللغة في مواقف لايمكن للغة المنطوقة أن تستخدم فيها » [1].

هذه ميزة من مميزات نظام اللغة العربية، وهي علاقة الحروف بالأصوات، وذلك في ترتيب الحروف داخل الكلمة الواحدة، ويبرز ذلك الترتيب العجيب في القرآن الكريم الذي اختار الله له هذه اللغة المليئة بالأسرار.

جدول توضيحي لمقاطع فواصل الآيات (الأصوات المجهورة و الأصوات المهموسة) في سورة الشمس : [2]

مقاطع فواصل الآيات	الأصوات المجهورة	الأصوات المهموسة
ض / حا / ها	ض / الف /الف	ح/هـ
ت / لا / ها	ت / ل /الف	هـ
جل / لا / ها	ل / ل /الف	ج/ هـ
يغ / شا / ها	غ / الف /الف	ي/ش/ هـ
ب /نا / ها	ب / ن / الف /الف	هـ
ط / حا / ها	الف /الف	ط/ح/ هـ
سو / وا / ها	و / و/ الف /الف	س/ هـ

1- محسن علي عطيه، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج، الأردن، 2009م، ط1 ، ص 26 .

2- ينظر علي مطوري، دراسة أسلوبية في سورة الشمس،مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية، العدد الثاني، 1438هـ .ص 83 .

تق/ وا / ها	ت / و/ الف /الف	ق/ هـ
زك /كا / ها	الف /الف	ز/ك/ك/ هـ
دس / سا / ها	الف /الف	د/س/س/ هـ
طغ / وا / ها	ط / غ / و/ الف /الف	هـ
أش / قا / ها	الف	أ/ش/ق/ هـ
سق / يا / ها	الف /الف	س/ق/ي/ هـ
سو / وا / ها	و / و / الف /الف	س/ هـ
عق / با /ها	ع / ب / الف /الف	ق/هـ

نلاحظ من خلال هذا الجدول مقاطع فواصل الآيات، وكيف أن الأصوات المجهورة تغلب الأصوات المهموسة، وهذا الغالب في القرآن المكي، مما يصفي نغما موسيقيا خاصا يوقض الأثر النفسي ويحرك مشاعر المتلقي .

« جاءت فواصل هذه السورة على روي واحد وهو الهاء المطلقة بالألف، (ها)، وقد حصرت السور ذات الروي الواحد في القرآن في احدى عشر سورة، هي : القمر – المنافقون – الاعلى – الشمس– الليل – القدر – العصر– الفيل – الكوثر– الإخلاص الناس، رغم شيوع روي الهاء نسبيا في القرآن إذ ورد 129 مرة واحتل المرتبة الثامنة في ترتيب شيوع الروي في الفاصلة القرآنية، إلا أن هذا هو الموضع الوحيد الذي جاء فيه حرف الهاء رويا لسورة كاملة، وهذا يشير إلى ظهور دلالة الهاء في هذه السورة، لا سيما في رويها، هذا الروي الذي جعل الوقف على رؤوس الآي له سمة خاصة من الهدوء والسكينة والخشوع، لما في صوت الهاء من امتداد النفس العميق، كما أن اتحاد الروي في هذه السورة يشير

إلى ملمح آخر واتحاد موضوعها و تناسب أجزائها في حين نجد تنوعا في أغلب سور القرآن في الروي، مما يوحي بتغيير في الموضوع، أو نوعه وغير ذلك » [1] .

هذه بعض الإحصائيات حول سورة الشمس من حيث رويها (الهاء)، وشيوع هذا الرويِّ في القرآن الكريم في عدة سور سبق ذكرها، ولما يتسم به هذا الحرف من خصائص ودلالات معينة .

« وبالنظر في الكلمات التي وقعت فاصلة، نجد أنها توافقت مع عدد كبير من الحروف والحركات فنجد جميع الكلمات توافقت في انتهائها بحرف الألف قبلها هاء مفتوحة، قبلها ألف مد، قبلها حرف مفتوح، وبهذا يتبين مدى التوافق من حيث الوزن، فقد جاءت كلمات الفاصلة متوافقة في أربع مراحل، ثم يكون ما قبل ذلك ساكنا في إحدى عشر، وفي ثلاث كلمات جاء الخامس مفتوحا، وفي واحدة جاء مضموما، وضحياها » [2] .

أما « وزن كلمات الفاصلة فإنها انحصرت في وزنين : الأول : (//°/°) وجاءت عليه أربع فواصل : ضحياها –تلاها – بناها – طحاها، والثاني (/°/°/°) وجاءت عليه سائر الفواصل عددها احدى عشر،: جلاها – يغشاها–سواها–تقواها–زكاها–دساها–طغواها–اشقاها–سقياها–سواها–عقباها، وهذا ما يعرف بالمتوازي » [3].

والحديث عن الوزن في سورة الشمس من حيث انقسامه إلى وزنين أتت عليهما السورة، يبين مدى توافق الوزن والفاصلة في السورة، فتوافق الأوزان يبرز لنا توافق الأصوات، وذلك من خلال تكرار حرف الهاء في آخر كل وزن من السورة .

« وهذا التوافق الصوتي بهذه الكيفية، يجعل الجرس الصوتي ظاهرًا في السورة، كما أن هذه الهاء الممدودة تعطي مجالاً رحباً لمد الصوت، وهذا بناسب جو السُّورة التي تدعو إلى النظر والتفكير في ملكوت الله الباهر، في لحظات تغفل فيها النفس البشرية عن ذلك بسبب ألف التكرار كما يحصل في هذه المخلوقات المقسم بها، فلا يشعر عندها الانسان بفصل الله عليه، فيحتاج حينها إلى ما ينبهه من غفلته

1- عويض بن حمود العطوي، التناسب البلاغي في سورة الشمس، مجلة الآداب، العدد 1، 2014 م، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص ن .

3- المرجع نفسه، ص 46 .

تماما، كما ألف قوم صالح عليه السلام الناقة و هي الآية العظيمة التي كانت شيئا عجيبا في أول أمرها، ثم مع الألفة تناسى القوم ذلك، وتجرؤوا عليها بالعقر، لذا نبههم نبيهم بأسلوب التحذير (ناقة الله)، وتنبيه الغافل يحتاج إلى وضوح وصوت مرتفع وصوت الألف هو الأقوى » [1].

وهذا ما تحدث عنه الزركشي قائلا : « وأشرفها الماوازي وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن، وحروف السجع » [2]. كقوله تعالى :(✌↘⓿☙☜⬀☲✡✠ ☜♦♌♦♍⬀⌘ ☜♉✌☜⬀☐▣⬀③🕭🕮✌↘☐ ☎🗁🗐☽ ⑦⑩⬀♌■☐⬀♌✡✠➤♦⬀♎②
🖒♦☲♦✌♌①❁☪⬀☞↘☐ ☎🗁🗐☽ ⑦⑩⬀♌■☐🖒⚐❾⬀☐⬀♎② ☜♍☙☲✡⬀☞✌↘♦❁☪♦↘☐ ☎🗁🗐☽ ⑦⑩♌⬀✡✠☐⬀♌✡⌖▣❽♌②
☜♌☙☲✡☜⬀☞✌↘♦❁☪♦↘☐ ☎🗁⌛☽ ⑦⑩⬀❁⬀☙☜☐⬀☙☙☜⬀⬀✡☜⬀♌②) [3].

هذه السورة كباقي سور القرآن الكريم ذات جرس موسيقي بنفذ إلى القلب، ويوقظ المشاعر، وعن ذلك يقول سيد قطب : « هذه السورة القصيرة ذات القافية الواحدة، والإيقاع الموسيقي الواحد، تتضمن عدة لمسات وجدانية، تنبثق من مشاهد الكون و ظواهره، التي تبدأ به السورة، التي تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة، حقيقة النفس الإنسانية واستعداداتها الفطرية، ودور الانسان في شأن نفسه تبعثه في مصيره، هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون، ومشاهده الثابتة » [4].

يتمثل إيقاع سورة الشمس في إبراز الحقائق الوجدانية في الكون، ويصورها القرآن الكريم في أجمل الصور للنفس البشرية، من خلالها، ليبث أثرا إيقاعيا يلقي في نفس السامع تأملا وخشوعا .

« فهو إيقاع يراد إيحاؤه وظله في النفوس، وهكذا ترتبط حقيقة النفس البشرية بحقائق هذا الوجود الكبيرة، ومشاهدة الثابتة، كما ترتبط بهذه وتلك سنة الله في أخذ المكذبين والطغاة، في حدود التقدير الحكيم الذي يجعل لكل شيء أجلاً، ولكل حادث موعداً، ولكل أمر غاية، ولكل قدر حكمة، وهو رب النفس والكون والقدر جميعاً »[5].

1- المرجع نفسه، ص ن .

2 -الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 85 .

3- سورة الغاشية، الآيات : 16/12 .

4 -سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 132 .

5- المرجع نفسه، ص 133 .

نلاحظ مدى ارتباط الإيقاع بالنفس البشرية، فمكمن السر في تأثر النفس البشرية أثناء تدبر كتاب الله عز وجل.

« ولم يتوقف هذا الإحساس بالحركة السريعة المتناهية الغاية، بل نجده يتبع بأصوات الفواصل اللاحقة للفاصلة الأولى، إذ نجد هيمنة السين و الشين على الفواصل التالية لها في قوله تعالى :

([illegible])[1] . ولا سيما المقطع الأول منها، والسين والشين من الأصوات المهموسة وفي اجتماعهما يؤديان معنى العظمة الكاملة والقوة القادرة في التحرك و الانطلاق، وأصوات الفاصلة الثانية تنطق بسهولة على اللسان، لكن فصل بين الصوتين المهموسين، صوت انفجاري وهو حرف الميم في الشمس، ثم تستمر الصورة بالإيقاع الموسيقي حتى تعطي الفكرة المرجوة،يقول عز وجل : ([illegible])

1- سورة الشمس الآية : 01 /08 .

■ﷺ﴿ ﴾ [1]، نلاحظ النبرة الصوتية مازالت مرتفعة، لكن الفاصلة طالت في الآيتين الثالثة عشر و الرابعة عشر »[2].

إيقاع السورة متناسق ومنسجم،بتتابع حرفي السين و الشين، وهكذا نلاحظ تراتبية الفواصل في تأدية المعنى .

« في السورة كثرة الأصوات المجهورة تطغى على الأصوات المهموسة، وبما أن السورة مكية ولها جرس خاص، فكأنها تنبه النائمين على الدعوة لتوقظهم إلى حق و إلى نور مشرق، هذه الحروف فيها دلالة الايقاظ للمشاعر، وكان الصوت ينبه الغافل، ومتلقي هذه الآيات يدرك معاني الأصوات المتناغمة في أذنه، ولكل مفردة في القرآن وظيفة محددة لا تسد مكانها غيرها، فالموسيقى الموجودة في سورة الشمس، تقارب في معنى المفردات و الكلمات المتواشجة ببعضها البعض »[3].

غلبة الأصوات المجهورة تكسب الحرف قوة، وهذه سيمة القرآن المكي،لايقاظ مشاعر النفس مما يساعد في تذوقها للإيقاع وإدراكها للمعنى .

« ومما تفيده دلالة الهمس في سورة الشمس في قوله تعالى : ﴿ ﴾

﴿ ﴾ [4]، فالليل يغشى الأرض ويضم ما فيها، من الموجودات و يخفيها، وهو المقرر في صوت الهاء، عند طرف الآيات، إذ يوافق ما في الهاء من الهمس و الخفاء وقد تقرر الخفاء و الاستتار في السورة نفسها، من قوله تعالى : ﴿ ﴾

﴿ ﴾ [5] .

1- سورة الشمس، الآية : 15/10 .

2- علي مطوري، دراسة اسلوبية في سورة الشمس،مجلة افاق الحضارة الاسلامية، اكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية، العدد الثاني، ص 82 .

3- المرجع نفسه، ص 83 .

4- سورة الشمس،الآية : 04.

5- سورة الشمس، الآيات: 08/06 .

فإن النفس البشرية هذه مرتبطة بهذا الوجود وهما مشتركان في خفايا و أسرار وهي إحدى الآيات الكبرى في هذا الكون المترابط المتناسق » [1].

أما عن الهمس في سورة الشمس فهو الآخر بدوره في فاصلة السورة كاملة، للدلالة على تناسق و ترابط معانيها، فقد وافق حرف الهاء معنى كل لفظة وجد فيها من حيث حملها لمعنى السرّ و الخفاء .

« وفي قوله تعالى: (③⑧ ☞ ④①❁ ☞ ❑❑ ❑ ❑) [2]، نلاحظ أن الكلمة (طغواها)، ترسم الطغيان الذي قد بلغ منتهاه، وذلك من خلال تأليف الكلمة من ثلاثة مقاطع (طغ- وا- ها)، وهي مقاطع تجعل الكلمة تملأ الفم عند النطق بها، وهذا مقصود في إيقاع الكلمة حتى يتناسب مع المعنى المرسوم بالإضافة إلى أن تعدد المقاطع فيها، يزيد من مشهد عرض صورة طغيان ثمود في التعبير، حتى يتلاءم مع عنف التدمير في نهاية التعبير والتصوير »[3].

هنا نلتمس أيضا علاقة تناسب الكلمة مع معناها، على اختلاف مقاطعها، وتنوعها، وقد رأينا مثال كلمة الطغيان التي جاءت مناسبة لعذاب الله لقوم ثمود .

« ولفظ (دمدم) في قوله تعالى: (④ ☞ ❑ ❑ ⑨) [4]، فيه إيقاع شديد يناسب جو التدمير لقوم ثمود، فاللفظة من مقطعين (دم/ دم) أو من مقطع متكرر للإيحاء بجو التدمير بما فيه من أحداث متكررة حتى يتحقق التدمير الكامل في نهاية التصوير، وتطويل الإيقاع في بعض الكلمات القرآنية يكون مقصودا،

1- فراكيس أحمد، دلالة الأصوات للصفات العامة في القرآن الكريم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة معسكر، العدد 2017،2م، ص 104 .

2 -سورة الشمس، الآية : 11 .

3- عبد السلام راغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، كلية العلوم الإنسانية، حلب، سوريا، ص 9 .

4- سورة الشمس، الآيات :13/ 15.

لاستيفاء المعنى المصور وذلك باستنفاد ما في الكلمة من طاقات تعبيرية وتصويرية للدلالة على المعنى، بالإضافة إلى أن مد الإيقاع أو تطويله يزيد من زمن عرض الصورة أمام العيون، فتتملاَّها وتتابع دقائقها، ومما لا يخفى أن الفاصلة القرآنية ليست مجرد تناسب صوتي تأنس له الأذن وينجذب اليه الفؤاد بل لها وظيفة معنوية مهمة إذ هي إحدى وسائل ترابط المعاني و اتصالها »[1].

يقول الزركشي : « إعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة ومقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها ما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب »[2].

يقول الشيخ محمد على الصابوني (1930 م) : « مراعاة الفواصل وهي من خصائص القرآن، فمثل هذا البيان الرائع، والجرس العذب يسري في النفس سريان الروح في الجسد، فللقرآن وقع عذب على السمع، وفي ذلك روعة البيان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا »[3].

وبهذا نكون قد وقفنا على بعض أوجه الايقاع في سورة الشمس، وأولينا الأهمية البالغة للوقوف أيضا على فواصلها، من ذكر لبعض أسرارها البلاغية، وكيف أن للحروف علاقة بالأصوات في تركيب الكلمات في القرآن الكريم وترتيبها، لتشكل نغما إيقاعيا متسقا ومنسجما، والذي يكوّن بدوره وحدة إيقاعية في السورة، ويسهل عملية الفهم و الإدراك وبلوغ المعنى المراد وتحقيق الأجر والثواب .

1- المرجع نفسه ص 46 .

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 85 .

3- الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 68 .

خاتمة

خاتمة

في نهاية بحثنا وبعد مسيرة شاقة، استطعنا أن نشق بحرا لا ساحل له، فالقرآن مهما حاولنا لن نفيه حقَّه حتى ولو كانت بحار الدنيا مداد كلماته، لكننا وقفنا على بعض جمالية أسراره الإيقاعية، في احدى سوره والتي هي سورة الشمس، وتمكنا من خلال ذلك تثبيت النتائج التالية :

القرآن كلٌّ متكاملٌ لا يمكن حصر إعجازه في بلاغته أو أسلوبه أو نظمه .

البحث في الإعجاز هو ضرب من الإعجاز .

الأسلوب القرآني أسلوب رفيع لامجال لمقارنته بأساليب البشر من شعر أو نثر .

يتجلى الجمال في القرآن الكريم في الشكل و المضمون معاً .

الإيقاع في الأسلوب القرآني هو مظهر من مظاهر الإعجاز، وهو يضفي على شكل الآيات والسور مسحة من الجمال و المتعة تتناسب مع المعاني الرّبانية المعجزة .

تميز النظام الصوتي لسّورة الشمس بالمزاوجة بين الحروف المجهورة والمهموسة .

تنوع الإيقاع العام للسّورة وتناغمه مع المستوى الدلالي .

ترتبط الفواصل بالمعنى والإيقاع معا فهي تتفق مع الدّلالة العامة للآيات و كذلك مع إيقاعها .

تنوع الفاصلة في السّورة ولّد إيقاعا متشاكلا تأنس له الأذن وتطمئن له النّفس.

الإيقاع له مبلغ التأثير على النّفس ما جعل القرآن موظفا له في شتّى موضوعاته.

الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم إشكالية تناولها القدماء و المحدثون معا .

الفاصلة تكسب السورة إيقاعا متميزا، وتحقق ميزة التطريب والتغني وذلك من خلال تكرار حرف الهاء في السورة مثلا .

الفاصلة في القرآن تراعي المعنى والسياق والجرس وجوَّ السورة، وكلّ ما يتعلّق بجودة التعبير وجماليته .

يعد الإيقاع في الفواصل القرآنية تابعا للأسلوب القرآني، ومظهرا من مظاهر الإعجاز فيه.

خاتمة

أخيرا وعلى الرّغم من كلّ الدّراسات والبحوث التي جعلت من القرآن ميدانا لها، إلاّ أنّ كتاب الله سيظل مجالا واسعا وزاخرا، ففي كلّ آية من آياته وفي كلّ كلمة من كلماته، معان ودلالات تشهد بإعجازه وعظمته .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

❁ المصادر والمراجع العربية :

1) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط1،1997م .

2) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح احمد الحوفي وبدوب طبانة، منشورات دار الرفاعي، ط2، الرباط 1983م .

3) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مطبعة السعادة، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مصر 1963م .

4) ابن سنان، أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان، سر الفصاحة، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1982م .

5) ابن سينا– الشفاء،المنطق 9، الشعر، تح : عبد الرحمن بدوي،الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة ،1922م .

6) ابن سينا: الشفاء – الرياضيات– 3، جوامع علم الموسيقى، تح : زكريا يوسف،نشر وزارة التربية القاهرة،1956م.

7) ابن طباطبا، عيار الشعر،تح عبد العزيز ناصرالمانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية 1958م .

8) أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب: الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2001م .

9) أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تح: أبو بكر عبد الرزاق، دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر، 2013 م .

10) أبو حيان التوحيدي، المقايسات،تح : محمد توفيق حسين،دار الآداب بيروت، ط 2 1989 م

قائمة المصادر والمراجع

11) أبو موسى محمد، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لأهل العلم (د ،ط) مكتبة وهبة، القاهرة، 2006م .

12) أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة،دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2003م .

13) الباقلاني، إعجاز القرآن، تح :السيد أحمد صقر (د، ط) دار المعارف، مصر، 1971 م.

14) بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن،دار الشروق، القاهرة،1973م .

15) بلعيد محاسن، الرقم سبعه، أثره و إعجازه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م .

16)

17) الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، بيروت، ط4 1998م .

18) الجرجاني عبد القادر، دلائل الإعجاز، تح: محمد شاكر، السعودية ، ط3، 1992م .

19) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط03، دار المدني، جدة، 1992م.

20) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط09، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1973م.

21) الرماني الخطابي الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح : محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط03، 1976م .

22) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1976م .

23) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة،مصر، 1957م .

24) ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007م .

25) سلام، محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي،مكتبة الشباب،مصر،ط1، 1952م .

قائمة المصادر والمراجع

26) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج4، 1975م .

27) سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط 10،دار الشروق، 1988، ص107.

28) شارف مزاري، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجا،مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2009 م.

29) شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات ، مصر،1968م .

30) الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان،1431هـ.

31) الصالح صبحي ، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ، ط 1،1977 م.

32) الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، (د، ط) دار العلم للملايين، لبنان، 2009م .

33) الطاهر محمد بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج30، الدار التونسية للنشر، تونس ،(د.ط)،1984م .

34) عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة، المطبعة العصرية، بيروت،لبنان، 2012م .

35) عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن (د، ط) دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003م.

36) عبد التواب محمد صلاح الدين، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن،دار الكتاب الحديث،2003م .

37) عبد الرحمان بنت الشاطئ عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل لابن الأزرق دراسة قرآنية ولغوية وبيانية، دار المعارف، القاهرة (د، ط)، 1993م .

38) عبد الرحمن تيبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2003م .

قائمة المصادر والمراجع

39) عبد السلام راغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، كلية العلوم الإنسانية،سوريا،(د ت)،ص 14.

40) عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، دار الهومة،الجزائر، 2001م .

41) العواجي محمد عبد العزيز، إعجاز القرآن عن شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القران للبقلاني، ط1، دار المنهاج للرياض ،1427هـ .

42) فاضل السامرائي، الفاصلة القرآنية، دار عمار للنشر، ط1، 1999م.

43) فضل عباس، وسناء عباس إعجاز القرآن الكريم، المكتبة الوطنية، الأردن، ط 1، 1991م.

44) قطب سيّد، التصوير الفني في القرآن الكريم (د، ط) دار الشروق، القاهرة، 1968م .

45) محسن علي عطيه، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج، الأردن، ط1، 2009

46) محمد العف، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها،الجامعة الاسلامية،قسم التفسير و علوم القرآن، فلسطين،2009م.

47) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، ج1، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1(دت) .

48) محمد حسين النقيب، الفاصلة في السياق القرآني، سورة مريم أنموذجا، اليمن،(د ت) .

49) محمد مندور، في الميزان الجديد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة، مصر، 2004م .

50) محمود فاخوري، موسيقى الشعر العربي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1996م.

51) محمود مسعدي، الإيقاع في الشعر العربي مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، مطبعة كتيب، 1996م.

52) مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ، دار مسلم، الرياض، ط02، 1996م .

53) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، الكتاب العربي، بيروت، ، ط 9، 1973 م .

54) المصلح عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، تاريخه وضوابطه،ط2،2006 م.

55) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1990 م .

قائمة المصادر والمراجع

56) مهدي سامي، أفق الحداثة وحداثة النمط، دراسة في حداثة مجلة شعر بيئة ومشروعا أنموذجا دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988م .

57) يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس بيروت، لبنان، ط2، 1982 م .

❁ المعاجم والقواميس:

1) ابن سيدة المخصص، سفر 13، مادة وقع،الكتب العلمية، لبنان، (د ت).

2) ابن منظور:

– لسان العرب، تح: عبد الرحمان محمد قاسم النجدي، دار صادر، ج3، ط1 1992م .

– لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ، ط،01،2000م م10باب العين، مادة عجز.

3) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، معجم العين، ج7، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر دار ومكتبة الهلال،2003م .

4) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، مادة: (و ز ن)، (6/ 107)، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م.

5) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (وقع).

6) المعجم الوسيط،معجم اللغة العربية، المكتبة العلمية، ج2، مادة وقع، ط3، 2004م .

7) لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، مادة فصل، دار الشروق، بيروت، لبنان، ، ط28،1986م .

❁ المجلات والدوريات:

1) ابن شيخ عباس، الإعجاز التأثيري النفسي للقرآن الكريم، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات العدد 6، 2009 م .

2) عبد العزيز الفاتح، إيقاع اللغة ولغة الإيقاع، مجلة الفيصل، العدد، 105 السعودية،1985م .

قائمة المصادر والمراجع

3) علي مطوري، دراسة أسلوبية في سورة الشمس،**مجلة** أفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية، العدد الثاني، 1438هـ .

4) عويض بن حمود العطوي، التناسب البلاغي في سورة الشمس، مجلة الآداب، العدد1، 2014 م.

5) فراكيس أحمد، دلالة الأصوات للصفات العامة في القرآن الكريم، **مجلة** العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة معسكر، العدد الثاني ، 2017 م .

❁ **الرسائل والأطروحات العلمية**:

1) محمد ديب حمود الحاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية،رسالة دكتوراه،جامعة صنعاء،اليمن، 2002م .

2) وقاد مسعود، البنية الإيقاعية في شعر فدوى طوفان، رسالة ماجستير غير، جامعة ورقلة، 2003م.

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول: دلالات الإعجاز ومظاهره

أولا: الدلالة المعجمية والاصطلاحية للإعجاز القرآني.....4.

أ-الإعجاز لغة.....4.

ب-الإعجاز اصطلاحا.....6.

ج-شروط المعجزة.....7.

ثانيا: مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم.....10.

أ- الإعجاز البلاغي.....10.

ب-الإعجاز الغيبي.....12.

ج-الإعجاز التشريعي.....16.

د-الإعجاز العلمي.....17.

ثالثا: الإعجاز القرآني بين القدامى والمحدثين.....19.

1-الإعجاز عند القدامى.....19.

أ-الخطابي.....19.

ب-الباقلاني.....21.

ج-الجرجاني.....22.

2-الإعجاز عند المحدثين.....23.

أ-مصطفى صادق الرافعي.....24.

ب-محمد عبد الله دراز.....25.

ج-سيد قطب.....27.

الفصل الثاني: الإيقاع في القرآن الكريم

أولا: الإيقاع والوزن و الفرق بينهما .....29.

أ-الإيقاع لغة .....29.

ب-الإيقاع اصطلاحا.....30.

ج-الوزن لغة.....31.

د-الوزن اصطلاحا.....31.

الفرق بين الوزن والإيقاع.....32.

ثانيا: الإيقاع عند النقاد العرب القدامى والمحدثين.....34.

1- الإيقاع عند القدامى.....34.

أ-الرماني.....35.

ب-الجاحظ.....37.

2- الإيقاع عند المحدثين.....40.

أ-عبد المالك مرتاض.....40.

ب-صالح صبحي.....42.

ج-بكري شيخ أمين .....45.

د-شكري عياد.....47.

الفضل الثالث: الإعجاز الإيقاعي في سورة الشمس.....52.

التعريف بالسورة.....52.

أولا: مفهوم الفاصلة القرآنية وأهميتها .....52.

أ-الفاصلة لغة.....54.

ب-الفاصلة اصطلاحا.....54.

1-تقسيمات الفواصل.....55.

أ-تقسيم الفواصل إلى متماثل ومتقارب.....55.

ب-تقسيم الفواصل إلى متوازن ومتواز ومطرف.....55.

2- ضابط الفواصل.....56.

3-اختلاف الفاصلتين والمحدث عنه واحد.....57.

4- اتفاق الفاصلتين والموضوع مختلف.....58.

5- أهمية الفاصلة القرآنية.....59.

ثانيا: التجليات الإيقاعية للفاصلة القرآنية في سورة الشمس.....62.

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .